وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى
كلية الآداب واللغات
الرقم التسلسي: ..... قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

آليات الحجاج في الخطاب القرآني

– سورة الكهف أنموذجا–

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور
صفية بوضاضة عبد الله عيسى لحيلح

لجنة المناقشة

1– الأستاذ: عثمان لالوسي..... رئيسا
2– الدكتور: عبد الله عيسى لحيلح.....مشرفا
3– الأستاذ: رياض بوزنية..... مناقشا

السنة الجامعية 1437هـ–1438هـ الموافق لـ 2016م–2017م


بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

يـــا رب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة

فلقـــد علمـــت بـــأن عفـــوك أعظـــم

إن كـــــان لا يرجـــــوك إلا محســـــن

فمـــن الـــذي يـــدعو ويرجـــو المجـــرم

أدعـــوك ربـــي كمـــا أمـــرت تضـــرعا

فـــإذا رددت يـــدي فمـــن ذا يـــرحم

مـــــالي إليـــــك وســـــيلة إلا الرجـــــا

وجميـــل ظنـــي ثـــم إنـــي مســـلم

شكر وعرفان

بوابة الحمد والشكر لله تعالى وقد منّ علينا بعونه لنتم هذا البحث، قال تعالى: ﴿ **ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾

ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور "عبد الله عيسى لحيلح" على جهوده العظيمة في الإشراف والنصح والتوجيه والحرص الشديد على متابعة كل مراحل البحث رغم انشغالاته العلمية المختلفة فكان خير موجه لمسيرة هذا البحث حتى استوى على سوقه.

لهذا اتقدم له بالشكر الجزيل على عظيم فضله، وعظيم صبره وتشجيعه ونصحه ...

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي بجامعة تاسوست.

إهداء

أهدي عملي هذا وثمرة جهدي إلى أمي وأبي خفظهما الله

إلى زوجي ورفيق دربي

إلى عائلتي وعائلة زوجي

وإلى كل الشغوفين والمولعين بالبحث العلمي

صفية

مقدمة

مقدمة :

يعتبر الاهتمام باللغة قطب الرحى في مختلف الدراسات اللغوية مند ظهور العلـــوم المعرفيـــة بمختلـــف تفرعاتها على مر العصور وتعاقب الحضارات، و لم تكن اللغة العربية في منأى عن هذه الحركة والتطور إلا أن العامل الرئيس الذي أسهم في وجود العلوم والحياة الثقافية الفكرية هو القرآن الكريم بما أثاره من أسئلة وطرحه من مواضيع حيث صرف الدارسون المسلمون معظم جهدهم لدراسة ومحاولة فهم معانيه، فكانت كل العلوم منبعثة منه، ومن الطبيعي عائدة إليه بالدراسة.

إن البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه، عمل لا تنضب مادته ،ولا يقل زاده، فهو الكتـــاب الاشمل والأكمل والأوسع خطابا؛ لأنه رسالة الخالق عز وجل للإنسانية قاطبة في كل زمان ومكان.

فلا عجب أن يكون الكتاب الأول الذي علم الناس منهجية التفكير السليم، وكيفية استنباط الأحكام العقلية المنطقية المبنية على أسس صحيحة، إذ دعاهم في آيات كثيرة إلى التدبر والتفكير وإعمال النظر، مـــن أجل الوصول إلى حقائق الظواهر وبواطن الأمور المحيطة بهم واعتبر استخدام العقل والفكر مبـــدأ أساســـيا في الإيمان الصحيح وشجع على العلم والتعلم.

الأمر الذي جعل آياته البينات تمتاز بخصائص متعددة منبعها قمة إعجازه وسحر بيانه، ومن هذه الخصـــائص أسلوب "الحجاج" الذي يعتمد التفكير العقلي والحجة والبرهان لرد الرأي برأي أقوى، وضحذ الحجة بحجة أبلغ وأبين منها، قال تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ }الأنعام 149. هذا الخطاب القرآني الشامل الذي اتخذ من أساليب الحجاج والاستدلال والإقناع، ما هو جدير بكتاب أنزله رب العالمين، فجاءت تلك الأساليب شاملة متنوعة، مستندة إلى الحجج والبراهين التي يدعمها العقل السوي والفطرة السليمة، مما جعل البحث في

هذا المجال بالغ الأهمية، وجدير بالاهتمام مما شجعني على اختيار موضوع يتعلق بالدراسات القرآنية ،تحت عنوان"آليات الحجاج في الخطاب القرآني سورة الكهف أ نموذجا "

وقد كان هذا الاختيار مبنيا على عدة أسباب منها أسباب وذاتية وتتمثل في حبي لكتاب الله وشغفي بالإطلاع على مكوناته، وأسباب موضوعية نذكر منها:

- أهمية موضوع الحجاج كونه موظفا في مختلف أنواع الخطاب .

- التعرف على الآليات الحجاجية الموظفة في كتاب الله بهدف الاستمالة والتأثير والإقناع.

- اختيار سورة "الكهف" نموذجا للتطبيق لاشتمالها على آليات حجاجية مختلفة تصلح للدراسة.

وإذا علمنا أن الخطاب القرآني كان دافعا إلى التفكير الرصين والتأمل بالعقل الذي ميز الله عز وجل الإنسان به عن سائر المخلوقات، وهو مكمن السر في الخطاب الحجاجي القرآني، فما مفهوم الحجاج؟ وما هي أهم المصطلحات المتعلقة به؟ وإذا كان الخطاب القرآني هو خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، فما هي أهم ملامح الحجاج المتضمنة فيه؟ وما أهم الآليات الحجاجية الموظفة في سورة الكهف موضوع الدراسة لتحقيق التأثير والإقناع؟

وإذا كان الحجاج موضوع تناولته الدراسات القديمة والحديثة فإلى أين وصل مسار الدرس الحجاجي في التعامل مع الخطاب القرآني؟

للإجابة عن هذه الإشكالية جعلنا دراستنا في فصلين مع مقدمة وخاتمة، أما الفصل الأول فقد كان عبارة عن دراسة نظرية للحجاج تناولنا من خلالها ملامح النص الحجاجي، أشكال الحجاج، مراتب الحجج، وأخيرا الحجاج في النص القرآني.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقا تحت عنوان"آليات الحجاج في سورة الكهف" حيث بـــدأناه بـــالتعريف بالسورة الكريمة.

ثم انتقلنا إلى البنية الحجاجية لسورة الكهف،لنعرج بعدها على بعـــض نمـــادج الحـــوار المتضـــمنة في الصورة،وأخيرا تناولنااستراتيجيات الخطاب في سورة الكهف.

أما الخاتمة فحوصلة لبعض النتائج التي توصل إليها البحث وقد اعتمدنا في ذلك كله على منهج وصفي استقرائي من أجل بيان الآليات والأساليب الحجاجية في القرآن الكريم، مبتغين من هذه الدراسة تحقيق جملـــة من الأهداف أبرزها:

- محاولة الكشف عن أهم آليات الحجاج البلاغية واللغوية في سورة الكهف.

- إثبات أن الكلام في القصص القرآني كلام حجاجي ،دون نفي وظائف أخرى.

- أن يكون هذا البحث المتواضع إضافة وتثمينا لما سبقه من دراسات وبحوث في هذا المجال ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم-سورة يوسف ا نموذجا-، الحجـــاج في الـــنص القرآني- سورة الأنبياء أ نموذجا، حجاج موسى عليه السلام في النص القرآني - دراسة. تداولية-

وقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع أهمها: مجموعة من التفاسير مثل:"في ظلال القرآن" لسيد قطب، "تفسير التحرير والتنوير" لطاهر بن عاشور مسنودة بكتب اللغة التي نذكر منـــها "لسان العرب لابن منظور، التعريفات للجرجاني، القاموس المحيط للفيروز آبادي، إضافة إلى مجموعـــة مـــن المراجع نذكر منها: "الحجاج في القرآن" لعبد الله صولة، "اللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، اســـتراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر.

وهذا البحث كغيره من البحوث لم يخل من بعض الصعوبات نذكر منها:

-تداخل موضوع الحجاج مع معارف أخرى كالفلسفة، التاريخ، الإعلام.

- الاختلاف والتباين في المصطلحات من باحث لأخر، وهذا راجع إلى اختلاف زوايا نظر الدارسين.

- ضيق الوقت المخصص لإنجاز المذكرة.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت ولو بالشيء القليل فيما كنت أصبو إليه من خلال هذه الدراسة الخاصة بآليات الحجاج في القرآن الكريم، على أمل أن يكون هذا البحث دافعا لقيام بحوث أخرى تستفيد من نقائصه وأخطائه، فتكون أرصن وأدق وأكثر علمية.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل: الحجاج؛

مفهومه وأنواعه.

1- مفهوم االحجاج.

2- علاقة االحجاج بالحوار والجدل.

3- أنواع االحجاج.

1- مفهوم الحجاج:

"الحجاج" أو "الاحتجاج"، أو "المحاجة" مصطلحات لا تكاد تخلو منها جل كتب التراث العربي الإسلامي: نحواو لغة، أو قراءة وحديثا، أو فقها ومنطقا...لاسيما تلك التي تكتسي طابعا فكريا وفلسفيا وديناميكيا؛ بسبب ما يعتريها من خلاف في وجهات النظر والتأويل فتحتاج إلى إقامة الدليل بالحجة من أجل التأييد والتصديق، والإقناع أو النفي والتنفيذ، والإفحام.

والحجاج آية بيانية موجودة في كل الخطابات، حتى في الكلام العادي الذي يكون بين شخصين في محاورة عادية أو جدل، فكلا المتحاورين يسعى إلى التأثير والإقناع وإثبات وجهة نظره وهذا ما جعل الحجاج ميزة من ميزات التخاطب الإنساني وركيزة من ركائزه، وأكسبه أهمية وحضورا من خلال الوظيفة التي يؤديها الخطاب.

ويرجع الفضل في إبراز أهمية الحجاج أثناء التخاطب لعلم البلاغة، ذلك أنها ترتكز على جانبين اثنين في الخطاب هما:

- البيان

- الحجاج بغية إقناع المستمع.

ونظرا لهذه الأهمية حري أن نحدد المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ "الحجاج".

أ- لغة:

يعرف ابن سيده الحجاج في معجمه بقوله:"حاججته، أحاجه حجاجا ومحاجة من حججته بالحجج التي أدليت بها، والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجة الذي يكون به

الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة، وحجه يحجه حجا غلبه على حجته، وفي الحديث: "فحج آدم موسى ؛ أي غلبه بالحجة واحتج بالشيء اتخذه حجة، قال الأزهري: إنما سمبت حجة لأنها تحج أي تقصد،؛لأن القصد لها وإليها"[1].

من خلال كل ما تقدم نلاحظ أن من معاني الحجاج: القصد والمغالبة والمخاصمة والتنازع الفكري من خلال تقديم سلسلة من الأدلة والبراهين المسلم بها عند الخصم قصد إفحامه وضحد أفكاره.

أما"ابن منظور" فيعرفه قائلا: « حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها(...) والحجة: البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة.

وهو رجل محجاج أي جدل

والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحجة: حجج وحجاج.

وحاجه محاجه وحجاجا: نازعه الحجة(...) وفي حديث الدجال: إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه أي محاجه بإظهار الحجة عليه، والحجة: الدليل والبرهان"[2].فابن منظور التزم بنفس المعنى الذي ذهب إليه ابن سيده غير أنه جعل الحجاج مرادفا للجدل"رجل محجاج جدل"[3] وهو ما يؤكده الفيروز آبادي

[1] ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، لبنان، مادة(حجج)

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، ص228، مادة(حجج)

[3] المصدر نفسه

بقوله:"والمحجاج الجدل"[1] والمعنى ذاته نجده في المعجم الوسيط:"حاجه فحجه(...) (حاجه) محاجة، وحجاجا: جادله وحاجه: عارضه مستنكرا(...) تحاجوا: تجادلوا"[2].

في حين جاء في مقاييس اللغة:" الحاء والجيم أصول أربعة:

1- فالأول: القصد: وكل قصد حج(...) ثم اختص الاسم القصد إلى البيت الحرام.

2- والأصل الآخر: الحجة، وهي السنة.

3- والأصل الثالث: الحَجَاج: وهو العظم المستدير حول العين.

4- والأصل الرابع: الحجحجة: النكوص"[3].

فالملاحظ هنا أن ابن فارس قد حصر مادة(حجج) في معاني أربعة وهي: القصد، المخاصمة، والمغالبة قصد الظفر والإحاطة، والصلابة، إضافة إلى النكوص والتوقف والارتداع. ويوافق هذا المعنى الأخير ما جاء في القاموس المحيط"وحجحج(...) نكص وكف وأمسك عما أراد قوله..."[4].

ويعرف الجرجاني الحجة في معجمه"التعريفات" بقوله:"الحجة ما دل على صحة الدعوى، وقيل :الحجة والدليل واحد"[5].

---

[1] مجد الدين محمد يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة،ط8، 1426ه/2005م، مادة(ح ج ج)

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع المعارف، مصر، ط2، 1393ه/1972م، ج1، ص156،مادة(حج).

[3] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفجر، دمشق،1399ه/1979م،ج2، ص30.مادة (ح ج ج)

[4] الفيروزبادي: القاموس المحيط.

[5] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني كتاب التعريفات ، دار الإيمان الإسكندرية، مصر، د ط، 2004، ص73.

من كل هذا فكأن الحجة هي كل ما يجعل المجادل أو المحاور ينكص أمام خصمه(ينـــهزم) لقـــوة في خطاب الخصم.. وفي الأخير يتجلى لنا من كل هذه التحديدات القاموسية أن نظرة اللغويين لمفهوم الحجاج في اللغة متقاربة؛ إذ تدور معاني الجدر اللغوي (ح.ج.ج) حول القصد، والتنازع، والتخاصـــم، والمغالبـــة، والجدل، بغرض الإقناع والتأثير في المتلقي، وإرغامه على الامتثال لأمره بالحجة والبرهان.

ب- اصطلاحا:

الحجاج مصطلح يصعب تحديد مفهومه وحصره والإحاطة به فهو مفهوم **"عائم"** متسع الرقعة بحيث يتقاطع مع جل الحقول المعرفية القديمة منها كالفلسفة، والمنطق، واللغة... والحديثة كالقانون والسياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها.

ولهذا فقد تعددت مفاهيمه بتعدد زوايا نظر الدارسين له؛ فبعضهم يرى بان الحجاج هو ضرب مـــن المنازعة والمغالبة والجدل قصد إقناع الخصم وإلزامه بالحجة والدليل، ويقوي هذا المفهوم مـــا ورد في المعجـــم الفلسفي:"الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله، والمحاجة طريقة تقـــديم الحجـــج والإفـــادة منها"[1]. كما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم في تعريف الحجة بأنها:"مرادفة للدليل، والحجـــة الإلزامية هي المركبة من المقدمات المسلمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته"[2].

وقريب من هذا المعنى تعريف طه عبد الرحمن للحجاج بقوله:"هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصه يحق له الاعتراض عليها"[3].

---

[1] إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403ه/1983م، ص67.

[2] محمد علي التمانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: رفيق العجم وعلى دحروج، د ط، ج1، ص622.

[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1،ص226.

بينما يرى عبد الحليم بن عيسى أن الحجاج قائم بالدرجة الأولى على الاختلاف فهو:"وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية والمتلقي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بمقصد معين".[1] إذا فلا حجاج دون خلاف بالأساس ودون أدلة متبادلة موصلة إلى الإقناع.

في حين تناول بعض الباحثين الحجاج من زاويتين: الأولى ترتكز على العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وما تحمله هذه العلاقة من استعمال لآليات الإرسال، ومراعاة لحالة المتلقين، أما الثانية فاعتبرت الحجاج بنية نصية وبالتالي ركزت فقط على الجوانب اللغوية؛ ذلك أن اللغة وحدها كفيلة بتوجيه الخطاب والمتلقي معا الوجهة التي يريدها المتكلم دون الحاجة إلى أمور خارجية. وهذا التركيز يجعل الحجاج "يأتي كشكل من أشكال التواصل والتخاطب والحوار وذلك أن الخطاب الحجاجي يقوم بين شخصين أو أكثر تدور بينهم عملية تواصلية أو حدث كلامي يتم خلاله طرح مجموعة من الآراء، يسعى كل طرف في تلك العملية إلى إقناع الطرف الأخر عن طريق النقاش والتخاطب والحوار"[2].

وفي الأخير نخلص إلى أن الحجاج ـ على اختلاف وجهات نظر الدارسين ـــــــــــــــــــــــــــــ مرتبط ارتباطا وثيقا بنوع من الخطاب الإنساني، تكون خلاله الأدلة متنقلة بين طرفين، كل واحد يدعي ملكيتها.

---

(1) عبد الحليم بن عيسى: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا- مجلة التراث العربي، العدد 102، اتحاد الكتاب العرب-دمشق- السادس والعشرون-نيسان2006، ربيع الثاني، ص4.

(2) حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف-أ نموذجا- قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة- 1433ه-1434ه/2012-2013م، ص19.

2- علاقة الحجاج بالحوار والجدل:

ارتبط الحجاج بمصطلحات عدة مرادفة له أو مقاربة منها: الحوار والجدل، المناظرة، المناقشة، المخاصمة، والمجادلة...الخ.، إلا أن أكثرهذه المصطلحات ملازمة للحجاج هما مصطلحا الحوار والجدل.

جاء في لسان العرب:"... والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالا، ورجل جدل ومجدل، ومجدال: شديد الجدل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبة، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام وفي الحديث: ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا. الجدل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار الحق..."[1].

إذا فالجدل حسب هذا التعريف اللغوي يحمل معنى الخصومة والمغالبة، ومقابلة الحجة بالحجة، وهي ذات المعاني التي يحملها الحجاج؛ إذ أن الجدل يطلق عموما على المشادة الكلامية التي تهدف لتحقيق الغلبة، وإفحام الخصم وهدم آرائه، وبهذا يكون صاحب اللسان قد جعل الجدل ملازما للحجاج ومرادفا له، وهو ما يؤكده الفيروز آبادي بقوله:" والمحجاج الجدل"[2]. كما نجد هذا الترادف عند ابن حزم من خلال تصنيفه الجدال إلى صنفين: محمود ومذموم؛ فالمحمود هو الجدال بالتي هي أحسن بغرض إظهار الحق وفي هذا الصنف قال تعالى:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل الأية 125.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ص105.

(2) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، القاموس المحيط، ص302.

أما الصنف الثاني فهو الصنف المذموم، وينقسم بدوره إلى قسمين: أولهما يجادل فيه المجادل بغير علم، وفيه يقول عز وجل: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ } الحج:(8-9)، أما ثانيهما فيجادل فيه المجادل نصرة للباطل بعد ظهور الحق بغية التمويه والتدليس، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: { وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا } الكهف(55).

أما الطاهر بن عاشور فيعتبر أن المخاصمة هي التي تجمع بين الحجاج والجدل، لكن هناك فرقا دقيقا بين معناهما في استخدام القرآن لهما إذ أن الجدال منه ما هو على حق، ومنه ما هو على باطل-وهو هنا يوافق ابن حزم- في حين أن الحجاج قائم على الباطل، حيث يقول في تفسير الآية { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ } ما يلي :"معنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب لم ترد إلا في معنى المخاصمة، وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بالباطل "[1].

أي أن الجدل- حسب ابن عاشور- مرتبط بالقدرة على الخصومة وذات المعنى يؤكده ابن منظور بقوله:"الجدل اللدد في الخصومة والقدرة عليها"[2].

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1396، ج3،ص31.32.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ص105.

لكن- على الرغم مما تقدم- حري بنا في هذا المقام أن نشير إلى أن الله عز وجل ذكر لفظة الجدل وما تصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعا، وهو مذموم في كل موضع ذكر فيه عدا ثلاثة مواضع وهي:

- الآية 125 من سورة النحل: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }

- الآية46 من سورة العنكبوت: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }

- الآية 01 من سورة المجادلة: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }

ويرجع السبب في كون الجدل مذموما-عدا المواضع التي سبق ذكرها- لكونه يبدأ بعد ظهور الحق بهدف التمويه والمكابرة والتدليس على ما تحقق من حق واتضح.

وخلاصة القول إن العرب القدامى نظروا إلى الجدل على أنه مرادف أو هو أقرب إلى ذلك للحجاج، وبهذه الصورة استعملوه، ويظهر ذلك جليا في كتب علوم القرآن نذكر منها: "كتاب البرهان في علوم القرآن" للزركشي، وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، واستمرت هذه النظرة حتى العصر الحديث، إذ نجد بعض الدراسات الحديثة تزاوج بين المصطلحين وتجعلهما مترادفين كما هو الشأن عند الهادي حمو في كتابه"مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم".

أما الحوار فهو"مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"[1] أي أنه قائم على التفاعل بين الطرفين المتحاورين، فالطرف الأول يطرح سؤالا أو رأيا، والطرف الثاني يرد عليه، وبهذا تحدث العملية الحوارية التي يهدف –من خلالها- كل طرف إلى إقناع الطرف الأخر دون أن يضغط عليه؛ فمن حق كل متحاور أن يرفض أو يعترض على خطاب من يحاوره وهنا نقطة التقاء الحجاج بالحوار؛ فالحجاج يستغل الحوار كأحد الوسائل في إقناع المتلقي بالخطاب المطروح، إذ أن كل حجاج يتضمن في طياته حوارا هو في حاجة إلى روحية الحجاج.

وبذلك يمكننا القول إن الحجاج أشمل من الحوار الذي يهدف إلى إقناع الطرف الأخر دون إقصائه عكس الجدل الذي لا يعترف بالطرف الأخر مطلقا.

وفي الأخير نخلص إلى أن كلا من الحوار والحجاج والجدل تندرج تحت مصطلح عام وهو النقاش.

وبهذا يمكننا القول إن النقاش له ثلاث آليات هي الحوار، والحجاج، والجدل فالنقاش في بدايته يكون حوارا، فإذا احتد يصبح حجاجا، أما إذا استمر بعد ظهور الحقيقة فيصير جدالا.

أنواع الحجاج:

اتخذ الحجاج في الخطاب القرآني أشكالا ومظاهر متعددة بتعدد مستويات المخاطبين والمحاججين، وذلك بغية إقناعهم بتعاليم الدين الإسلامي من جهة، وضحذ حجج الرافضين له والعازفين عنه من جهة أخرى، مستعينا في ذلك كله بالأدلة القطعية واليقينية. وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي:"أدلة القرآن مثل الغداء ينفع به كل الناس، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء

[1] ابن منظور: لسان العرب، ص218.

ينفع به الصبي والرضيع والرجل(...) وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها مرة أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلا "[1].

ويمكن القول في هذا المقام إن تعدد مظاهر الحجة، وآليات الإقناع في القرآن الكريم جعل الوقوف عليها أمرا مستحيلا، لأن ذلك عد عماد إعجازه. نذكر منها على سبيل المثال مظهرين أساسيين هما:"الحجاج العقلي أو المنطقي" و "الحجاج التمثيلي أو البلاغي".

أما الحجاج العقلي فيمكن التمثيل له بقوله تعالى: { قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا } مريم(8-9)

وكذلك في قوله تعالى في سورة الأنبياء:(21-22) { أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (21) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) }

وفي هذا يقول المتكلمون: " القول بوجود إلهين يقضي إلى المحال(...) لأنه لو فرضنا وجود إلهين فلا بد أن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تسكين زيد وتحريكه، فلو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه، والأخر تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو المحال

[1] أبو حامد الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص81.

لاستحالة الجمع بين الضدين(...) ولو وقع مراد أحدهما دون الأخر، فالذي وقع مراده يكون قادرا، والذي لم يقع مراده يكون عاجزا، والعجز نقص وهو على الله محال"[1].

في حين يقوم النوع الثاني من الحجاج على الاستعارة والتشبيه وهو الأكثر ورودا في النص القرآني لأن هذا النوع من الحجة هو الأنسب للخطاب اللغوي وللمتلقي، ويمكن التمثيل له بقوله تعالى في الأية (28) من سورة الروم: { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) }

وحري بنا أن نشير هنا إلى أن قضية الحجاج هي قضية قديمة تم تناولها في البلاغة القديمة-العربية والغربية- إلا أنه تم الاكتفاء بالإشارة إلى مقامات السامعين وهيأة الخطيب؛ بمعنى أنها ركزت على الخطاب الشفوي المباشر "أما الحجاج في الدرس البلاغي المعاصر فقد برز الاهتمام به من خلال الحقلين النقدي واللساني خاصة والإنساني عامة، وفي مجالي المشافهة والكتابة، وقد حصل هذا الاهتمام بعد الثورة التي عرفها الدرس اللغوي حديثا"[2]، إذ أصبحت الحجة عصب الحياة المعاصرة، فاكتسحت مختلف مجالات الحياة السياسية، والقضاء، والايدولوجيا والسيكولوجيا، الإشهار والدعاية...وذلك لأنها الوسيلة الأنجع في الإقناع فهي حاضرة حضورا قويا في كل أشكال التواصل، فلا تواصل من غير حجاج.

---

[1] نقلا عن إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني-سورة الأنبياء أ نموذجا- قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، 1433ه-1434ه/2012م-2013م، ص18.

[2] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص7.

وسنحاول من خلال هذا المدخل التطرق إلى الدراسات البلاغية –العربية والغربية- التي تمثل البنيـــة التحتية للنظرية الحجاجية وكيفية تطور التصور القديم للحجاج من خلال تطور الدراسات الحديثة عربية كانت أم غربية، وما قدمته من إضافات .

1- في البلاغة العربية:

أ- في العصر القديم:

يضرب الحجاج بجذور قويه في الخطاب العربي، إذ بلغ العرب في جاهليتهم شأوا عظيما في البلاغـــة والبيان، وقد صور القرآن الكريم ذلك في أكثر من موضع، نذكر على سبيل المثال قولـــه تعـــالى في ســـورة الرحمن: { الرَّحْمَنُ(1)عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4) } الأيات:(1-2-3-4) وكذلك في قوله تعالى و { مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (204) } إضافة إلى تصوير قوتهم وشدتهم في الحجاج والجدال ونمثل لذلك بقوله تعالى { فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ } الأحزاب(19)

وأيضا في قوله تعالى { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ(58) } الزخرف(58).

وأكبر دليل على علو مرتبة العرب في البيان والبلاغة أن معجزة الرسول صـــلى الله عليـــه وســـلم وحجته القاطعة التي أفحمتهم أن دعاهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة" وهي دعوة تدل في وضوح على

ما أوتوه من اللسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام، كما تدل على بصرهم بتميز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الإفهام وبلاغة التعبير "[1].

كما تجدر الإشارة إلى أن من أهم العوامل التي أسهمت في نشأة هذا الذوق الرفيع في تخير الكلام تلك الأسواق الكبيرة التي كانت تجمع الشعراء والخطباء من مختلف القبائل العربية، ولعل أبرزها على الإطلاق سوق عكاظ الذي كان ميدانا للمنافسة بين شعراء العرب وخطبائها" وكل يريد أن يحوز قصب السبق لدى سامعيه دون أقرانه "[2].

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما روي عن النابغة الذبياني من أن الشعراء كانوا يحتكمون إليه فمن نوه به داعت شهرته في الأفاق، وقد كان يبدي بعض الملاحظات على معاني الشعراء وأساليبهم الشعرية" ويقال أنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت، وفضل الخنساء على بنات جنسها وثار حسان عليه، وقال له: أنا والله أشعر منك ومنها، فقال له النابغة حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولذنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال النابغة: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولذت و لم تفخر بمن ولدك"[3].

---

[1] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1919، ص9.

[2] المرجع نفسه: ص11.

[3] شوقي ضيف: المرجع السابق، ص11.

إذا من خلال ما تقدم نخلص إلى أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يقفون عند اختيار الألفاظ والمعاني والصور، مما يدل دلالة واضحة على عنايتهم الكبيرة والواسعة بإحسان الكلام والتفنن في أساليبهم الفصيحة والبليغة.

وأخذ ينمو هذا الاهتمام بجودة الكلام بعد البعثة المحمدية بفضل القرآن الكريم والسنة النبوية، أما القرآن فيمثل قمة الإعجاز وكمال البلاغة والبيان؛ إذ تتلى آياته آناء الليل وأطراف النهار. وقد كان هدفه الأول إقناع الناس بتعاليم الدين الجديد، لذلك يمكن القول إن الخطاب القرآني هو خطاب حجاجي بالدرجة الأولى، حيث ورد الحجاج في الذكر الحكيم بمعانيه المختلفة(حجاج، برهان، جدل، بيان).

أما كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فكان متداولا على الألسنة يحفظه الصغير قبل الكبير يقول الجاحظ إنه" لم ينطق إلا عن ميراث حكمة، و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة... وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة، والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته..."[1].

كل هده الميزات جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يمتلك قدرة هائلة على اجتذاب المتلقي وإقناعه بالحجة والبرهان ونذكر على سبيل المثال حديث الرجل الذي أتى النبي صلى الله عليه وسلم ناكرا، ولده قائلا: «يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود، فقال له الرسول: هل لك من إبل؟ قال نعم، قال ما لونها؟ قال:

[1] نقلا عن: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص13

حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم قال: فمن أين ذلك؟ قال لعل عرقا نزعه، فقال رسول الله: وهـــذا الغلام لعل عرقا نزعه"[1].

فضلا عما تقدم نجد أن استراتيجيات الإقناع بالحجج والبراهين قد تبلورت في كثير مـــن العلـــوم، كعلوم الفقه والأصول، والعلوم اللغوية، وعلم الكلام...إذ كان الإقنـــاع مطيـــة المحـــاججين في محـــاورتهم ومناقشتهم وجدلهم بغرض إبراز مقاصد تلك العلوم وآرائها وأفكارها.

ولا يمكن الحديث عن الحجاج في التراث العربي دون الوقوف عند أقطاب البلاغة العربيـــة القديمـــة الذين وظفوه في مؤلفاتهم، حيث شكل بنية أساسية لابداعتهم ونذكر منهم:

الجاحظ الذي تناول في كتابه"البيان والتبيين" فصولا عدة متعلقو بالحجاج، ففي الفصل الذي تناول فيه البلاغة حاول تحديد مفهومها بالاستشهاد بصحيفة تنتمي إلى الثقافة الهندية إذ يقول:»أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة ولا الملوك بكلام السرقة، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة...."[2].

نلاحظ أن الجاحظ في هذا النص قدم الغاية(الإقناع) على الوسيلة(اللغـــة) في الخطـــاب الاقنـــاعي الشفوي، إذ أن الأولى تحدد طبيعة وشكل الثانية حسب المقامات والأحوال بمعنى أن بلاغة الحوار والإقنـــاع عنده أساسها مراعاة أحوال المخاطبين.

---

[1] حمو النفاري: التحاجج طبيعة ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المملكة المغربية، ط1، 1427ه/2006م، ص83.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر، د ط، د ت، ص92.

كما أشار الجاحظ إلى أهمية الأسنان في البلاغة والإفصاح حيث يرى" بأن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحرف، منه إذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الأخر"[1].

إضافة إلى ما تقدم تجدر الإشارة إلى أن الجاحظ" يمتلك القدرة على الاحتجاج للشيء ونقيضه، أن يحتج للبخل ويظهره في صورة تدبير وإصلاح، أو يحتج ضده فيخرجه في صورة شائهة ساخرة تنزل بالبخلاء إلى أسفل الدركات"[2].

ومرد هذه النزعة- على اختلاف النقاد والدارسين- انتماءه المذهبي للمعتزلة حيث تصدر للدفاع عن العديد من لأطروحاتهم وآرائهم الأمر الذي حفزه على التفكير في آراء الخصوم والبحث عن الحجج الكفيلة بدحضها وتفنيدها.

وخلاصة القول إن» الجاحظ بياني قوي الحجة قادر على الإقناع والإفهام والتأثير في متلقيه وتعليمهم وتثقيفهم وتغيير سلوكهم"[3].

أما أبو علال العسكري فقط ربط الحجاج بالشعر حيث رأى أن للشعر وظيفة حجاجية كبرى لأن كلام الشاعر هو تعبير عن شعور وإحساس داخلي خاص به دون غيره لذلك فهو يريد أن يحقق أهدافا حجاجية من خلال شعره.

---

[1] محمد علي زكي صباغي: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1418ه/1998م، ص191.

[2] محمد مشبال: التصوير والحجاج: نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت، أكتوبر- ديسمبر2011، ص155.

[3] المصدر نفسه ص164.

فهو الذي» يملك ما تعطف به القلوب النافرة ويؤنس القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبية المستعصية ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجة"[1].

إذا فالشعر هو الفن الذي تقام به الحجج، وينهض بوظيفة الحجاج لا بوظيفة الجدل.

في حين نجد ابن وهب قد ربط الحجاج بالجدل والمجادلة في كتابه"البرهان في وجوه البيان" حيث قدم تعريفا دقيقا للجدل والمجادلة بقوله:»أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصوصيات والتنصل في الاعتذارات"[2].

نلاحظ أن ابن وهب قد وضع الحجاج تحت اسم الجدل كما أنه يصنف الجدل تصنيفات أخلاقية فمنه المحمود وهو الذي يقصد به الحق، ومنه المذموم وهو الذي أريد به المماراة والغلبة بغرض الرياء والمكابرة.

وإن كان الحجاج- كما هو معروف- مختلف عن الجدل فالحجاج هو حوار شديد اللهجة يهدف إلى إظهار الحق، أما الجدل فهو استمرار الحوار بعد ظهور الحق ويعرفه ابن فارس بأنه:»...امتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[3]، وفي المقابل نجد حازم القرطاجني في كتابه "مناهج البلغاء وسراج الأدباء" قد أورد الحجاج على أنه وجه من أوجه الكلام إذ يقول:" لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، أما أن يرد كل جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[4].

---

(1) أبو علال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2006، ص49.

(2) أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجه البيان، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د ط، د ت، ص176.

(3) أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1389،2ه/1969م، ج1، ص433.

(4) حازم القرطاجني: مناهج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966، ص63.

نفهم من كلام القرطاجني أنه ميز بين نوعين من الكلام وهما" الإخبار والاقتصاص"، "الاحتجاج والاستدلال" إضافة إلى تمييزه بين طريقتين لإقناع الخصم وهما: "التمويهات" و"الاستدراجات" وهما من الإستراتيجيات المهمة في عملية الإقناع وفي تمييز بين هاتين الإستراتيجيتين يقول:» التمويهات تكون فيما يرجع إلى الأقوال، والاستدراجات تكون بتهيؤ المتكلم بهيئة نت يقبل قوله، أو بإستمالة المخاطب واستلطافه له بتزكيته وتفريضه، وإحراجه على فهمه، حتى يصير بذلك كلامه مقبولا عند الحكم وكلام خصمه غير مقبول"[1].

وفي الأخير يمكن القول إننا عرضنا بإيجاز نظرة بعض البلاغيين العرب لمفهوم الحجاج، وقد اختلفوا فيه باختلاف توجهاتهم وزوايا نظرهم.

ب- في العصر الحديث.

سنحاول مناقشة هذا العنصر من خلال تسليط الضوء على أهم المدارس العربية التي اهتمت بالدرس البلاغي عامة وبلاغة الحجاج خاصة، وذلك منذ ثلاثينيان القرن الماضي، وستكون البداية مع المدرسة المصرية لأن لها الأسبقية التاريخية، إذ تعتبر رائد النزعة الإحيائية والتطورية سواء على المستوى الإبداعي شعره ونثره، أو على مستوى التنظير النقدي بصفة عامة والبلاغي بصفة خاصة.

وقد بدأت هذه المدرسة محاولات إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء المقولات النقدية المعاصرة في وقت مبكر» وكانت تلك المحاولات بالطبع متفاوتة بحسب الروافد المتوفرة من مقتضيات الخطابين الأدبي

[1] حازم القرطاجني، المرجع السابق، ص64.

والإبداعي في كل فترة"[1] ومن بين المحاولات الجادة الواعية في هـذا المجـال دراسـة أحمـد الشـايب في كتابه"الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية" حيث نجده»بعد تعريف البلاغة يوضح العلاقة بين البلاغة والعلوم الأدبية من جهة والقوى النفسية من جهة ثانية، ليصل إلى تحديد مترلة البلاغة بين شـروط العلم وقوانينه وخصائص الفن وسماته"[2].

إضافة إلى الدراسات أخرى بلاغية وأسلوبية حاولت الاستفادة من الدرس النقدي الغـربي لكـن الملاحظ على معظم هذه الدراسات أنه غلب عليها» الاهتمام بإعادة بعث التراث البلاغي العربي القديم بـدءا من الجاحظ ووصولا إلى السكاكي والقزويني والسيوطي، أي أنها اهتمت بالتاريخ الذي قطعته البلاغة منـذ عصر التدوين حتى عصر التقعيد الرسمي والقولبة النظرية النهائية"[3].

ونشير في الأخير إلى أن كتاب "بلاغة الخطاب وعلم النص" للدكتور صلاح فضل يعد من بواكير المصنفات في حفل الدراسات النقدية العربية المعاصرة التي تهتم ببلاغة الحجاج وبرائدها "بيرلمان".

أما المدرسة المغاربية فتتجسد في جهود المدرستين التونسية والمغربية في مجال البلاغة المعاصرة عامـة وبلاغة الحجاج خاصة، حيث يمثل الأولى حمادي صمود، أما الثانية فسنحاول الإطلاع عليها مـن خـلال جهود محمد العمري وذلك لانتباهه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابة، مما ولد لديه اطلاعا مكثفا على نصوص التراث العربي والغربي قديما وحديثا.

---

[1] محمد سالم محمد الأمين: الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص217.

[2] المرجع نفسه ص218.

[3] محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص218.

وقد ركز"محمد العمري" في دراسته على الأبعاد التداولية في البلاغة العربية وعلاقتها بمختلف العلوم الأخرى، لكن قبل الوصول لتلك الأبعاد نجده يتتبع مسيرة البلاغة العربية من ناحيتين: أولهما اهتماما بالحجاج وثانيهما علاقتها بالنصوص الأرسطية.

كما يرى أن الحاجة إلى الحجاج والاهتمام به قد ظهر بشكل جلي في فترة المتكلمين إذ أصبحت الآليات الحجاجة البلاغية ضرورة ملحة كونها الوسيلة الأنجح لضحد الفرضيات الكلامية بالقرآن الكريم ومن أمثلة ذلك الكتاب"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة الذي رد فيه على الطاغين في كلام الله عز وجل وذلك من خلال تصنيف حججهم ثم الرد عليها بحجج أقوى وأشد.

أما المدرسة التونسية فقد اكتفيا فيها بإبراز جهود حمادي صمود الذي يعتبر من أعضائها الرواد، وينطلق هذا الأخير من اعتبار بلاغة الحجاج أدق مواضيع الدرس البلاغي وأكثرها أهمية «فالحجاج علاقة بين طرفية أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر على الطرف المقابل جنسيا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقاده أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا، والرسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف متعددة منها ما هو متعلق بالمتكلم، ومنها المتعلق بالمخاطب، ومنها الخاص بالمقام، ومنها ما هو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها"[1].

[1] محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص276.

كما تحدث أيضا عن ترتيب الحجج التي يختارها المتكلم إذ ينبغي عليه أن يخضع كل واحدة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية: فالمقدمة لها حجج خاصة بها، وصلب الموضوع له حججه، أما الخاتمة فهي تلخيص لما سبق للوصول في النهاية إلى إقناع المتلقي.

من خلال كل ما تعد يمكن القول إن الدرس البلاغي العربي قد عرف محاولات متعددة هدفت لتطوير وإعادة صياغته، إلا أن تلك المحاولات كانت تدور في البداية حول إعادة تصنيف المواد البلاغية في النقد القديم، لكن بعد انفتاح الساحة النقدية العربية على الدرس اللساني الحديث بدأت»الدراسات البلاغية تحاول- كلا من منظورها الخاص- إنارة بعض الجوانب القديمة من خلال الاستعانة بالمفاهيم التحليلية الحديثة(...) كما ظهرت دراسات توظف كلا من الأجناس أو المفاهيم الأدبية: كالشعر والصورة والخيال...، لكن أيا من تلك الدراسات لم تول اهتماما واضحا لمباحث البلاغة المعاصرة عامة والحجاج خاصة".

ونخلص في الأخير إلى أن المدارس العربية حاولت الاستفادة من الدرس اللساني الغربي الحديث وذلك بهدف توعية القارئ العربي بأهمية هذا التيار وبدور النظرية الحجاجية في تحليل الخطابات المعاصرة وما يمكن أن تمدنا به من آليات ووسائل لعصرنة التراث العربي وتفعيله.

الحجاج عند الغرب:

أ-في العصر القديم

عند تفحص تلك الجهود القديمة في مجال البلاغة عامة والحجاج خاصة، نجد أن فلاسفة اليونان أمثال: أفلاطون-أرسطو، والسفسطائيين قد تناولوا الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، والتي أصبحت من الدعائم الأساسية في عمليات الحجاج من بعدهم.

وسوف نحاول –من خلال بحثنا هذا– عرض بعض ما قدمه هؤلاء الفلاسفة.

1- الحجاج عند السفسطائيين:

يعتبر السفسطائيين حركة فلسفية وظاهرة اجتماعية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد أحدثت تغييرا في مفهوم الفلسفة من اهتمامها بالطبية إلى اهتمامها بالانسان، وعبر روادها عن هذا التغيير باهتمامهم الكبير باللغة والخطابة والبلاغة، إذ يعتبرون الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة وهو ما عبر عنه جورجياس (girgias) بقوله»الخطابة هي الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"[1].

وأصبح الكلام عند السفسطائيين مخادعا وفتانا بعد أن كان موحدا للحقيقة مقدما للمعرفة، كما أصبح وسيلة وأداة للإقناع والاقتناع، وقد ساعدهم على ذلك «تميز روادها بالكفاءة اللغوية، وبالخبرة الجدلية، وقد لعب وجودهم دورا كبيرا في تطوير البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية عامة"[2].

أما ممارستهم للحجاج فاستندت إلى بناء حججهم على فكرة "النفعية" المتعلقة "باللذة" ويرى أفلاطون أن لذة الإستحواذ بالنسبة للمقول إليه ولذة النفع بالنسبة للقائل، وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج حسب مقتضى المقام.

كما اشتهر السفسطائيون بممارستهم للحجاج بغرض الحصول على سلطة المجتمع، بحيث يعلمون الشباب الخطابة ويهيئونهم بذلك للسلطة، وكانوا يتقاضون مقابل هذا التعليم مالا وفيرا، وفي ذلك يقول

---

(1) الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص12.

(2) نقلا عن إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني-سورة الأنبياء أ نموذجا، ص29.

بروتاغوراس:»أوافق على أني سفسطائي ووظيفتي هي تعليم الناس"[1].

إذا فغايتهم كانت تعليم طلبتهم البلاغة وفنون الإلقاء واجتذاب المتلقي، والقدرة على الجدل، وأساليب المواجهة في حل المسائل التي تعرض عليهم سواء بفكرة صحيحة أو عن طريق التلاعب بالألفاظ بغية إفحام السائل أو الخصم.

وقد روي عن أحدهم أنه قال:»ليس من الضروري أن تعلم شيئا عن الموضوع لتجيب وقال: إن في استطاعته أن يجيب كل سائل عن كل ما يسأل، فهم يعلمون كيف يكسبون الخصم بشتى الوسائل كاللعب بالألفاظ، والاستعارات، والكنايات الجذابة بخداع المنطق وتمويه الحقيقة ومن أجل ذلك سمي اللعب بالألفاظ والتهريج في الحجج(سفسطة)"[2].

من خلال كل ما أوردناه يمكن القول إن نظرة السفسطائيين للحجاج توظف التلاعب بالألفاظ والبعد عن الحقيقة- في أغلب الأحيان- باستعمال الحجج والبراهين حقيقة كانت أم باطلا، بهدف التأثير في المتلقي وإقناعه.

2- الحجاج عند أفلاطون:

اشتهر أفلاطون بعدائه الشديد للبلاغة باعتبارها تقوم على الرأي والآراء تحيل دوما-حسبه- على وقائع مزعومة ناتجة عن الأهواء والمصالح والظروف والرغبات. الأمر الذي جعله ينطلق في ممارسة الحجاج من

---

(1) نقلا عن: فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات االحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1998، ص61.

(2) نقلا عن: حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010، ص10.

خلال الصراع الذي نشب بينه وبين السفسطائيين» ويرتكز نقد أفلاطون للسفسطائيين في اعتباره إياهم أدعياء على العلم والمعرفة، وأن ما يقدمونه لا يعدو كونه نتائج ظنية، مبعثها الهوى واللذة، وهي تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونية"[1]. فهو يرى بأن الشكل الخارجي للخطابة أو البلاغة لا يسمح بإنتاج المعرفة، وإنما ينتج الاعتقاد فقط.

ومن عوامل رفض أفلاطون للبلاغة أيضا كونها بلاغة الحشود الشعبية، فهو يرى بأننا عندما «نرسل الخطاب أمام حشد من الناس لا مجال في هذا المقام الحشدي، حيث المستمع يتكون من الجهال، حيث الحيز الزمني محصورا، وحيث الموضوعات المفروضة للمناقشة معروفة لإنتاج المعرفة"[2].

ولهذا نجد سقراط في هذا المقام يقول:»حينما يجتمع الناس من أجل اختيار الأطباء وبناة السفن أو أي مهنة أخرى، فهل نلتمس من الخطيب رأيه في الموضوع؟ لا. إذ من البديهي أننا في حاجة في كل حالة إلى اختيار أفضل اختصاصي في الميدان"[3].

هذه باختصار أهم النقاط التي كانت تزعج أفلاطون وتضايقه، فهو يرفض الضغط الفكري من أجل الإقناع لمجرد أن العامة تساند تلك الفكرة. حيث يرى أنه إذا تعلق الأمر بالمعرفة فلا ينبغي الاحتكام للعامة، يقول سقراط:» نأمل جيدا، يابولوس، تفنيدي إلى جانب تفنيدك إذا قارناهما فإنهما لن يكونا شبيهين في أي شيء، إن تفنيدك يلقي القبول من كل الناس وأنا الوحيد الذي لا أخصه بهذا القول، والحال أنني أنا حينما

---

(1) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص26.

(2) محمد الولي: مدخل إلى الحجاج...أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبير-ديسمبر2011، ص21.

(3) المصدر نفسه ص22.

أفندك، فإنني أكتفي بموافقتك وبشهادتك ولا أطلب إلا استشارتك أنت وحدك، أما الآخرون فإنني أتجاهلهم"[1].

ونخلص في الأخير إلى أن التصور الأفلاطوني للبلاغة يتكون من شقين أساسيين: أولهما قائم على رفض البلاغة بسبب احتكامها للرأي العام والذي يؤدي في الأخير إلى الاعتقاد لا إلى المعرفة، أما ثانيهما فقائم على القبول بشكل بلاغي أو خطابي يعتمد على الحوار الثنائي بين متخاطبين ندين حول قضية مطروحة للنقاش، ولا يكون الاحتكام فيه إلا للمعرفة القابلة للتفنيد والإبطال في أية لحظة.

3- الحجاج عند أرسطو:

يعد أرسطو المرجع الأساسي في عملية الحجاج لمن جاء بعده غربا أو عربا، إذ تأسست دراسته للحجاج على دعامتين أساسيتين: أولهما بلاغية، وثانيهما جدلية، فأما البلاغية فيربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع، في حين تقوم الجدلية على اعتبار الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، ويتم من خلالها إنتاج العلم.

وبهذا يكون أرسطو قد أعاد»بعد أستاذه أفلاطون، فتح ملف البلاغة واللافت أنه احتفظ بالتقسيم الثنائي: الجدل والخطابة، غير أنه لم يطابق بينهما كما فعل أستاذه هناك إذن الخطابة التي لا يشملها بالمعاني القدحية الأفلاطونية بل اعتبرها من الأدوات الأساسية التي لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنها، إنها أداة تسيير المجتمع في المؤسسات الديمقراطية الأثينية"[2].

---

[1] نقلا عن: محمد الولي، مدخل إلى الحجاج...أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص24.

إضافة إلى تمييزه بين ثلاثة مستويات من الحجج وهي (الاثيوس، الباتوس، اللـــوتس) في علاقتـــها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي وهي: الخطيب، المستمع، الخطاب.

«الأتيوس: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

اللوغوس: ويتمثل في الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، فيرتبط بالقـــدرة الخطابية على الإستدلال والبناء الحجاجي.

الباتوس: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين"[1]

كما فرق بين الحجاج الجدلي والحجاج الخطي، إذ يرى أن الأول أوسع من الثاني، فالحجاج الجدلي يمارس في فحص قضايا الفكر والأحكام المتعلقة بالسلوك، إضافة إلى ممارستة في توجيه الفعل في حين يـــدخل الحجاج الخطبي في مجال توجيه الفعل وتثبت الاعتماد أو صنعه.

« ويؤكد تقديم أرسطو للحجاج وما يتصل به من سمات ومناح جدلية فكرية وفلسفية أولا، واجتماعية وإنسانية ثانيا، فالفكرة القائلة إنه إذا كان أفلاطون قد رفع بتجريده ومثاليته الفلسفة من الأرض إلى الســـماء، فإن أرسطو بدراساته الإنشائية التواصلية قد أعادها إلى الأرض"[2].

أما فيما يخص انتقاده للسفسطائيين فقد ركز على إنتاجهم للحجاج ما يتعلق به من آليات، لاســـيما تلك التي تعتمد على التلاعب بالألفاظ وتقديم أدلة واهية خداعة بغية إقناع المتلقي، فهي عبارة عن شراك قولية ينصبونها للإيقاع بخصومهم دون مراعاة للحق والباطل.

---

[1] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص18.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص32.

وقد ذكر أن «لحجاجهم خمسة أهداف: التبكيت، والإيقاع في الخطأ، والدفع إلى مخالفة المشهور واستعمال صيغ لغوية غير مألوفة، وأخيرا دفع المجيب إلى الكلام الفارغ، وذلك بجعله يكرر كلامه عديد المرات"[1].

إذا من خلال كل ما تقدم يمكن القول إن أرسطو حاول تخليص الخطاب مما قد يعتريه من تزييف وخداع وركاكة تعبير، فاللغة –حسب رأيه– تلعب أعظم الأدوار في بناء الإنسان والمجتمع، وهذا مكمن خطورتها وقداستها في آن واحد.

ب– في العصر الحديث:

بعد التطرق إلى جهود فلاسفة اليونان ونظرتهم للحجاج التي تجسدت بين الخطابة والجدل والمناظرة...، هذه الجهود التي تمثل موروثا حقيقيا ونظرة عامة أسهمت وبشكل كبير في بناء نظرية الحجاج المعاصرة فالحجاج عند الغربيين المحدثين هو عبارة عن نظرية حديثة متمخضة عن الجهود المبذولة في سبيل إعادة النظر في البلاغة اليونانية القديمة، وقراءتها قراءة جديدة.

وقد وظف هذا التطور الذي طرأ على التصور القديم للحجاج ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، إذ تم تناوله من جانبين، جانب بلاغي وتجسد في أعمال "بيرلمان"(chaim perelman) وأخر تداولي من خلال أعمال أزفالد ديرو(o.durot) حيث أرسى هذان العالمان الدعائم الأساسية التي قامت عليها النظرية الحجاجية المعاصرة على الرغم من اختلاف توجهاتها وزوايا نظرهما للموضوع، وبالتالي اختلاف المنطلقات وآليات

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص34.

الدراسة، إلا أن كليهما حاولا الاستفادة من التراث اليوناني القديم، ومحاولة بعثه من جديد في حلة جديدة ألا وهي النظرية الحجاجية.

وسنحاول من خلال هذا البحث عرض جهود بعض الباحثين الغربيين وإسهاماتهم في إثراء الـــدرس الحجاجي من أمثال: بيرلمان وزميله تيشكا في حديثهما عن البلاغة الجديدة، وكذلك "يكرو وأنسكو مبر" في التداولية المدمجة.

1- الحجاج عند بيرلمان وأوليزيخت تيتكا

في عام 1958 تم نشر كتاب"مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" والذي يعتبر مـــن المؤلفـــات المؤسسة لعودة الاهتمام النظري بالحجاج، وهذا الأخير هو عمل مشترك بين "بيرلمان" و"تيتكا" جمع تصانيف المؤلفين وخلاصة أبحاثهما المتفرقة في المقالات والكتب الخاصة بها»وهو أكثر شهرة واكتمالا وإلماما بقضـــايا الحجاج ومن هنا كانت ربما صعوبة قراءته..."[1].

ولعل الغاية الكبرى التي يرمي إليها الكتاب هو إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل، إذ ســـعى الباحثان إلى نفي انتسابه للخطابة واهتمامه بالمغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف وعقول الجماهير ودفعهـــم للقبول باعتباطية الأحكام المنافية للعقل والمنطق.

كما عملا في المقابل على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يضع المتلقي أمـــام ضـــرورة وحتمية تفرض عليه الرضوخ والخضوع» فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق

[1] فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيد عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الجدل، ومعنى ذلك كله أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره"[1].

إذا فمبعث الحجاج-حسبهما- هو الاختلاف وشرطه موضوعية الحوار إذ يقف المحاج أو المحاور موقف الشريك المتعاون من أجل تحقيق غايته في استمالة عقل المتلقي باستعمال شتى وسائل التأثير والإقناع.

كما قسما الحجاج بحسب نوع الجمهور المتلقي إلى نوعين هما: الحجاج الإقناعي والحجاج الإقتناعي، أما الحجاج الإقناعي فيرمي إلى إقناع جمهور خاص في حين يرمي الحجاج الإقتناعي إلى أن يسلم به كل ذي عقل وهو عام. وهو النوع الذي ركزا عليه لكونه عقليا وقد لخص الدكتور محمد طروس أهم النتائج التي توصل إليها بيرلمان وزميله في النقاط الآتية:

«- تخليص الحجاج من بوتقة المنطق والأبنية الاستدلالية المجردة مقرباه من مجالات استخدام اللغة مثل: العلوم الإنسانية والفلسفية والقانون(....).

- اعتبار الحجاج حوار غير مرتبط بالجدل(....) فهو حوار بين الخطيب وجمهوره، ولا يمكن أن نعتبره مغالطة أو تلاعبا بالمشاعر والعقول.

- الحجاج نظرية تدرس التقنيات الخطابية كوظيفة حجاجية.

- العملية الحجاجية عملية تنطلق من الامتناع والمؤانسة إلى الإقناع"[2].

---

[1] فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص298.

[2] محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005، ص55-56.

هذه هي إذا الإضافة التي قدماها هذان العالمان، إذ استطاعا أن يعثرا على ذلك الخيط الرفيع الـــذي يمكننا من عقد مصالحة تاريخية بين أرسطو وأفلاطون، وذلك من خلال المزاوجة بين البلاغة والجدل ضـــمن نموذج موحد اسمه البلاغة الجديدة.

2- الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

تعد النظرية الحجاجية التي وضع أسسها الفرنسي أوزفالد ديكرو(o. ducrot) منذ ســـنة 1973، نظرية لسانية تهتم بإمكانيات اللغة الطبيعية والوسائل اللغوية التي يمتلكها المتكلم ويوظفها في توجيـــه خطابـــه وجهة ما.

وقد تحدث هذا الأخير في مصنفه "حجاجية اللغة" والذي وضعه بالاشتراك مع "أنســـكومبر" عـــن الحجاج حيث أقرا بأن الحجاج متجذر في اللغة، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الأخر، وفي هـــذا الشـــأن ورد عندهما»إن الحجاج يكون بتقديم المتكلم قولا ق1(أو مجموعة من الأقوال) يفضي إلى التسليم بقـــول أخـــر ق2(أو مجموعة من الأقوال). حيث "ق1" يمثل الحجة التي ينبغي أن تؤدي إلى "ق2" ويكون "ق2" قـــولا صريحا أو ضمنيا"[1].

نستخلص من هذا الطرح أن الحجاج هو خلق لعلاقة بين خطابين لغويين تفرض بالضرورة وجود تلازم بين القول والحجة، وهو تلازم قد يكون ظاهرا جليا أو مضمرا خفيا»وإضماره في الخطابات الإبداعية أبلـــغ تأثيرا وذلك لكي يكون اكتشاف المتلقي له مصدر متعة واندماج ثم دعما لمقولات النص"[2].

---

[1] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكيم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص33-34.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص194.

إذن فاللغة في معناها العام هي عبارة عن قيد يضبط ترتيب الأقوال والأسماء وترابطهما ضمن نسق متكامل، وهذا الترابط هو ترابط حجاجي يتجسد في العلاقات بين أبنية اللغة التي توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر.

ومن ثم « فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما"[1].

وحري بنا أن ننوه في الأخير بأن ديكرو قد أشار إلى أن الحجج على اختلافها تخضع لترتيب معين يحكمه قانون القوة أو الضعف، لا الصدق أو الكذب»ولعل تراتيب هذه الحجج وتدرجها من الأعلى إلى الأسفل ومن القوة إلى الضعف هو الذي يمنحها تلك الطبيعة "السلمية" التي نجد الوعي بها بينا من خلال عنوان كتابه"السلالم الحجاجية".

[1] نقلا عن محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص192.

الفصل الأول: الحجاج

دراسة نظرية

- المبحث الأول: ملامح النص الحجاجي.
- المبحث الثاني: أشكال الحجاج.
- المبحث الثالث: مراتب الحجج.
- المبحث الرابع: الحجاج في النص القرآني.

المبحث الأول: ملامح الخطاب الحجاجي.

يعتبر الخطاب الحجاجي جوهر العملية التواصلية البلاغية، فالحجاج يمكن اعتباره ممارسة فكرية خطابية، يعتمدها المتكلم للتأثير في المخاطب بهدف إقناعه أو تغيير فكره أو سلوكه. بمعنى إن غايته"استمالة الرأي العام نحو فكرة معينة، هي هدف كل قائم بعملية الإقناع والتأثير ومن أجل دلك ينصب اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلها كلفة ووقتا وجهدا في الوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام، أو بناء اتجاهات جديدة، أو تعديلها، أو لفت انتباه الجمهور نحو قضية معينة"[1].

إذا فالنص الحجاجي يمكن تحديد ملامحه انطلاقا من نص التخاطب ذاته، وكذلك من خلال الإطار العام المحيط به، والمتمثل في مجموع العناصر المؤلفة لهذا النص، كما أن حضورها مجتمعة-أو معظمها- كفيل بإبراز تلك الطبيعة الحجاجية لنص الخطاب الحجاجي والتي يمكن تحديد ملامحها الأولية انطلاقا من العناصر الآتية:

أ- مكونات الحجاج: حيث ينبني النص الحجاجي في شكله العام على مكونات رئيسية هي:

- الدعوى: تمثل نتيجة الحجاج، وهي مراد المتكلم ومقصده من خطابه الحجاجي، والغاية منها التأثير واستمالة المستمع لقبول التصورات والمدركات، سواء بطريقة صريحة مباشرة أو ضمنية تلميحية يستنتجها المستمع ويستخلصها.

- المقدمات: تمثل معطيات الحجاج، وهي مجموعة المسلمات والبديهيات التي يؤسس المتكلم على منوالها حجاجه، وترتبط بنتيجة الحجاج ارتباطا عقليا منطقيا.

---

(1) نقلا عن: محمد عرابي: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السانية، وهران، 2008-2009، ص13.

- التبرير: يمثل بيان البرهنة على مدى تطابق وصلاحية المقدمات للنتيجة المقصودة.

- الدعامة: تمثل مجموعة الأدلة والشواهد التي يستعملها المتكلم المحاجج قصد تقوية النتيجة عند المستمع بهدف تقبلها والاقتناع بها.

- مؤشر الحال: يمثل مجموع التغيرات اللغوية التي تظهر مدى قابلية النتيجة للتطبيق.

- التحفظات والاحتياطات: والتي يضعها المحاجج في حسبانه مسبقا لردود أفعال المستمع أو المتلقي اتجاه النتيجة المتوصل إليها.

ب- الربط المنطقي:

حيث تكون العلاقة بين أجزاء ومكونات النص الحجاجي علاقة منطقية استنباطية تعتمد القياس المنطقي في الحكم على المقدمات والدعامة بمدى صلاحيتها للمحاجة والتأثير، أكثر من الحكم على النتيجة بالصحة أو الخطأ، فهي علاقة منطقية أكثر منها تصورية كما هو الحال في النصوص غير الحجاجية، ذلك أن جوهر الحجاج هو البراعة في إنشاء رابطة مقنعة بين عبارتين.

ج- القيمة الحجاجية:

كل خطاب يحمل في ذاته قيمة معينة، والنص الحجاجي نص تقييمي تقويمي، تتحدد قيمته من الأقوال أو الأفعال أثناء المحاجة التي تهدف إلى التأثير أو تغيير السلوك أو المعتقد، بمعنى أن قيمته تكمن في هذا الهدف بالتحديد.

د- قوانين الخطاب:

تلعب قوانين الخطاب دورا أساسيا وفعالا في دلالة الأقوال المستعملة في الحجاج وبخاصة قوانين الإفادة والشمولية والإخبار، وما دام الأمر متعلقا بالتأثير في المستمع، فإن المحاجج يسعى قدر الإمكان إلى أن يلتزم في

خطابه بكل ما يعرف حول موضوع الحجاج، وما يوجه من حجج وأدلة إلى المستمع، في حدود اهتماماته وقدرته على الفهم والاستنتاج والفائدة التي يرجوها من الخطاب.

أما الدكتورة سامية الدريدي في كتابها"الحجاج في الشعر العربي" فقد أجملت أهم الخصائص والسمات التي يتميز بها النص الحجاجي عما سواه من النصوص في النقاط التالية:

"1- القصد المعلن: إنه البحث عن إحداث أخر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية للكلام(....).

2- التناغم: فالنص الحجاجي نص مستدل عليه لذلك يقوم على منطق ما في مراحله، ويوظف على نحو دقيق التسلسل الذي يحكم ما يحده الكلام من تأثيرات(....).

3- الاستدلال: وهو سياقه العقلي أي تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معين تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة(...).

4- البرهنة: إليها نرد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع(....)"[1].

إذا ليس كل خطاب بالضرورة يكون خطابا حجاجيا، حتى وإن تضمن تعابير حجاجية، لأنها قد تأتي بشكل عرضي لا يكون هدفها الاستدلال على موقف أو الدفاع عن أطروحة أو التأثير في المتلقي وإقناعه.

في حين نجد طه عبد الرحمن يميز بين الخطاب الحجاجي وغيره من الخطابات الأخرى "بكونه خطابا مبنيا وموجها وهادفا، مبنيا بناءا استدلاليا يتميز فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل وموجها مسبقا بظروف تداولية تدعو إليها إكراميات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو سياسية تتطلب الدفاع

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي وبنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 1432ه/2001م، ص26-27

عن الرأي أو الانتصار لفكرة، وتتطلب نقاشا حجاجيا يلامس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية بهدف تعديل فكرة أو نقل أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد"[1].

إذن كانت هذه أهم الملامح والسمات التي تطبع النص الحجاجي وتميزه عن باقي الخطابات الأخرى.

المطلب الثاني: أشكال الحجاج.

يهدف كل متكلم في مختلف الأحوال والظروف إلى أن يفهم من كلامه ما يريد قوله، لأنه يعلم علم اليقين أنه إذا لم يتم الأمر على هذا النحو فإن خطابه يفقد الفاعلية والتأثير "لهذا السبب-تحديدا- يحرص المتكلم على أن يقول ما يريد قوله فحسب، بل على قول أشياء عديدة دون أن يتحمل مسؤولية قوله أحيانا كثيرة، مخططا لطرائق عرض الكلام على المتلقي على نحو يخدم أهدافه ويضمن له التحكم الكلي في خطابه"[2].

ولكي يتحقق له ذلك كله فإنه يلجأ إلى مختلف أساليب وطرق الإقناع التي تدعم وتعضد الطاقة الحجاجية في قوله. والتي لا تتوقف بدورها عند ظاهر الملفوظ فحسب بل يمكن أن تكون مضمرة تلميحية أيضا، ذلك أن النص حسب قول أبو حامد الغزالي:" ضربان: ضرب هو نص بلفظه ومنظومه[...] وضرب هو نص بفحواه ومفهومه"[3]. وهذا ما يفسر تعدد وجهات نظر الدارسين في تحديد أشكال الحجاج وتقنياته.

فنجد "بيرلمان" و "تيتكا" على سبيل المثال قد حصرا أشكال الحجاج في تقنيتين أو طريقتين حجاجيتين لا غيرهما: طريقة الوصل وطريقة الفصل.

---

(1) نقلا عن: أمينة رفيق، بلاغة الخطاب المكتوب دراسة لتقنيات الحرف واللون والصورة في خطاب الدعاية التجارية، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014، ص99.

(2) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص87.

(3) نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشعري، استراتيجيات الخطاب، ص476.

1- طرائق الوصل:

والمقصود –عندهما- بطرائق الوصل أو الطرائق الاتصالية الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام نوع من التضامن بينهما بهدف إبراز تلك العناصر في بنية واضحة جلية من ناحية، وتقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا من ناحية أخرى.

وقد حصر هذان الباحثان تلك الأشكال الاتصالية في ثلاثة أنواع من الحجج وهي: الحجج شبه منطقية، الحجج المؤسسة على بنية الواقع، الحجج المؤسسة لبنية الواقع[1].

1-1- الحجج شبه منطقية:

وهي حجج تعتمد في قوتها الاقناعية على بعض البنى المنطقية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: التناقض، التماثل التام أو الجزئي، قانون التعدية...، فالحجج شبه المنطقية قد توظف مفهومي التناقض وعدم الاتفاق، وذلك أن التعارض هو اجتماع حكمين متناقضين في فرضية أو خطاب ما، كما يتمثل في اختبار فرضيتين لإقصاء غير اللائقة منهما للمقام، وبذلك يكون لكشف المحاجج عن التعارض بين قضيتين في حجاج خصمه، أو بين فرضيتين يريد إقصاء أحدهما لإقناع مخاطبيه بالأخرى أبلغ الأثر في كشف التناقض، حيث إن التناقض غالبا ما يكون واضحا جليا يسهل كشفه، أما كشف التعارض فمثير للسخرية بحيث يكون الواقع في التعارض عرضة للضحك، لذا اعتبر بيرلمان أن السخرية أو الهزء من أهم الأسلحة الحجاجية وعوامل النجاح في الحجاج[2].

---

(1) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص32.

(2) ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص128.

في حين نجد التماثل التام يكون فيه المعرّف والمعرف به متماثلين لفظا، بحيث نعتبر اللفظ الثاني محمولا على المجاز، حتى لا تكون العبارة الثانية تحصيل حاصل أو ضربا من الحشو."ويضرب بيرلمان مثلا لهذه الصيغ القائمة على التماثل بالمثل المعروف"المرأة هي المرأة" لكنه يؤكد أن هذه الصيغ لا تكتسب قيمتها الحجاجية إلاّ في مقامات بالغة الخصوصية"[1].

أما حجج التعدية فمبنية على استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث كوسيط يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة القائمة بين العنصرين الأول والثاني، ويمثل بيرلمان لذلك بالحكمة القائلة "عدو عدوي صديقي، حيث إن الطابع شبه المنطقي لهذه الحكمة يدعم ما يمكن أن يستنتج منها وهو أن صديق عدوي عدوي"[2].

1-2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

وهي حجج قائمة على استخدام الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلّم بها، وأحكام يسعى الخطباء إلى تأسيسها وتثبيتها بحيث تصبح مقبولة مسلّما بها، مما جعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينهما، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون الآخر، ومن هنا جاء وصفها بأنها حجج اتصالية أو قائمة على الاتصال، ويضرب بيرلمان مثالا لهذا النوع من الحجج بوجوه الاتصال التتابعي بوصفها تضم مظاهر الاتصال السببي كالربط بين بعض الأحداث المتتابعة بواسطة علاقات سببية أو

---

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص128.

[2] المرجع نفسه، ص129.

استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليها، أو التكهن بما سيقع لو أن الحدث المسبب قد حصل كقولنا مثلا على الترتيب: اجتهد فنجح، نجح لأنه اجتهد، هو يجتهد فسينجح[1].

1-3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

ويقوم هذا النوع من الحجج على مستويين رئيسين يكون أولهما مؤسسا للواقع بواسطة الحالات الخاصة، كالمثل الذي يضرب من قبيل التأكيد والبرهنة على صحة الفكرة المطروحة، وهذا الأخير الذي يلحقه استشهاد بنصوص دينية أو مقولات قراء خالدين ذات قيمة سلطوية معترف بها سلفا من قبل السامعين، بمعنى أن مهمة المثل برهانية، أما مهمة الاستشهاد فتوضيحية، في حين يقوم ثانيها على استخدام التمثيل استخداما حجاجيا، ذلك أن التوظيف الجيد للتمثيل في بنية حجاجية ما من شأنه أن يضفي على مجمل عناصرها دلالات جديدة لم تكن موجودة في حالتها الانفرادية.

ويشير بيرلمان إلى أن التمثيل في الحجاج مختلف عنه في الإبداع بقوله:"ففي حين لا شيء يمنع من أن يطول التمثيل ويمتد في مجال الإبداع، ويطلب من التمثيل في مجال الحجاج أن يلتزم بحد معين وإلا فقد طاقته الإقناعية، وإن إطالة التمثيل تكون أحيانا لغاية أن تثبت صحته، لكن تلك الإطالة قد تجعله عرضة لتجريح المخاطب"[2].

---

[1] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص130.

[2] المرجع نفسه، ص152.

2- طرائق الفصل:

تقوم طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية على الفصل بين عناصر تندرج تحت مفهوم واحد، وتقتضي في الأصل وجود وحدة بينها، وإنما عمد إلى كسر هذا المفهوم الواحد الذي يضمها ويوحد بين عناصرها لأسباب دعا إليها الحجاج."ويبني الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة على زوج: الظاهر، الحقيقة(...) ويمتثل الظاهر الحد الأول، والحقيقة الحد الثاني، وكل الأشياء والأنام والمعطيات يمكن أن يكون لها حدان، فهي من ناحية لها ظاهر هو الشيء أو الإنسان أو المعطي، كما هو مشاهد معاين، فذلك هو الحد الأول وهي من ناحية أخرى لها حقيقة هي جوهر ذلك الشيء أو الإنسان أو المعطي (...) وذلك هو الحد الثاني"[1].

ومجمل القول إن الفصل بين هذه العناصر المترابطة، سواء بالجمل الاعتراضية أو بالأفعال غير اليقينية من قبيل: يخال، يشك، يزعم، يظن...من شأنه أن يحمل المتلقي على تمثل مظهرين اثنين لشيء واحد، أحدهما ظاهري زائف وهو أول ما تصادفه الحواس ويجول في فكر المتلقي، أما المظهر الآخر فيدعو بإلحاح القارئ أو السامع إلى معانقة الحقيقة، بل هو الحقيقة بعينها.

إذا كانت هذه أهم أشكال الحجاج عند بيرلمان وتيتكا، أما عبد الهادي بن ظافر في كتابه"استراتيجيات الإقناع" فقد أعطى تقسيما آخر لأشكال الحجاج وتقسيماته بحيث قسمها إلى آليتين رئيسيتين هما:[2]

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص39.

[2] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشعري، استراتيجيات الخطاب، ص454-455.

أولا: العلامات غير اللغوية سواء أكانت مصاحبة للخطاب أم لا: مثل الأدلة المادية على وقوع الجريمة، أو ما يصاحب التلفظ من تنغيم وإشارات جسدية أو هيئة معينة بمعنى كل ما هو خارج عن النص(الخطـــاب) من وسائل وأدوات تستخدم كتقنيات حجاجية من أجل إقناع المتلقي أو المخاطب.

ثانيا: ممارسة الخطاب (النص الحجاجي) بما يناسب العمل الذهني والعقلي، ويتجسد في الممارسة اللغوية والتلفظ بالنص عن طريق اللغة بوصفها العلامة الرئيسية للخطاب والتواصل.

كما يعد سلوك المتكلم من الآليات التي تسهم في إقناع المتلقي من خلال تصرفاته وصفاته، وأخلاقه وسلوكه، فسلوكه يمكن أن يكون دليلا على قوة حجاجه أو ضعف، إذ يمكن اعتباره الموجه للعملية الحجاجية أو الإقناعية، وفي المقابل نجد أن سلوك المتلقي ينعكس على المتكلم أو الباث وفي بنائه لخطابه، إذ أنه يراعـــي أحواله والمقام الذي هو فيه وهو بذلك يجعل المتلقي نصب عينيه حين يصنع خطابه من أجل إقناعه وحمله على الإذعان.

إلى جانب ما تقدم من الآليات الاقناعية، هناك أيضا العلامات السيميائية وما لها من دور سواء أكانت تسبق التلفظ بالخطاب كترتيب هيئة المرسل، أو تلك التي تتعالق مع الخطاب والتي يسعى المرسل إلى رسمهـــا وتجسيدها بحركة أعضائه أو بوسائل أخرى من خلاله.

وقد أكد الجاحظ على أهمية تلك العلامات إشارته إلى شكل عصا الخطيب وطريقة مسكها...الخ[1].

وفي تقسيم آخر لأشكال الحجاج نجد أنها تنقسم إلى قسمين أساسيين هما:[2]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشعري، استراتيجيات الخطاب، ص454-455.

[2] ينظر: حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم-سورة يوسف أ نموذجا- ص103-104.

أولا:: من حيث شكل بناء الحجاج: هناك نوعان من خاصية الشكل من النصوص الحجاجية:

- النوع الأول: عند التطرق لأطروحتين أو قصتين تمثلان إشكالا ويبني منهما حجاج على أساس (مع أو ضد) إحدى القضيتين على النحو التالي:

- معطاة(مقدمة تطرح إشكاليتين أوب)

- حجج تخدم (تدعم)أ

-حجج تخدم (تدعم) ب

-نتيجة (ظاهرة أو مضمرة)

القضية الأولى ← مقدمات +الدعامة تبرير (حجج وأدلة للقضية الأولى)

القضية الثانية ← مقدمات +الدعامة تبرير (حجج وأدلة القضية الثانية)

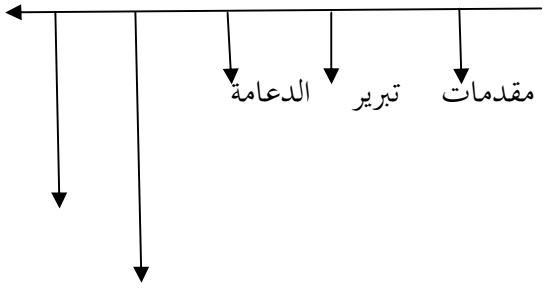
} الدعوى (النتيجة ظاهرة أو مضمرة) وتمثل مع أو ضد إحدى القضيتين الأولى أو الثانية

النوع الثاني: ويتمثل في الدفاع عن أطروحة (معطاة أو مقدمة) بالحجج، ويمكن أن نمثل لها بالرسم التالي

الأطروحة+الدعامة ← الحجج ← النتيجة.

القديمة(المعطيات) (الأطروحة الجديدة)

أو: القضية القديمة



ثانيا: من حيث طبيعة الحوار الحجاجي:[1]

وقد حددها"دوجلس" انطلاقا من نقده لتصور 'بيرلمان" للحجاج، حيث اعتبر أن ذلك التصور يمثل نمطا واحدا، سماه" المناقشة النقدية" أو "حوار الاقناع" ومن بين الأنماط التي ذكرها "دوجلس" ما جمعه في هذا الجدول:

نمط الحوار	الوضع الأولي	الطريقة المتبعة	الهدف من الحجاج
مشاجرة	هياج انفعالي	هجوم شخصي	التعدي على الأخر
مناظرة	صراع جدلي	التأثير في المثلثي(الحكم)	انتصار عملي
الإقناع(مناقشة نقذية)	اختلاف وجهات النظر	إثبات داخلي أو أخر خارجي	إقناع الآخر
التحقيق	افتقاد دليل	حجاج مبني على معرفة سابقة	تكوين دليل
مفاوضة	اختلاف المصالح	المساومة	مكسب شخصي
استقصاء معلومات	افتقاد معلومات	الاستفهام	الحصول على معلومات
الحث على فعل(أو سلوك)	الحاجة إلى ذلك الفعل(أو السلوك)	إصدار أوامر	الفعل(أو السلوك)

[1] ينظر: حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم-سورة يوسف-أ نموذجا- ص105.

المبحث الثالث:مراتب الحجج

يستعين المناظرون والمحاججون والمستدلون في مناظرهم ومحاورهم ومحاججاهم بأنواع من الحجج والأدلة والبراهين منها ما يفيد اليقين الجازم، ويطلق عليه اسم "الحجة البرهانية" ومنها ما يفيد دون ذلك، فإذا كانت الحجة ملزمة للطرف الأخر المحاجج بإعتباره مسلما بمقدماها سلفا، إما لشهرها مقارنة لقوة اليقين، أو لأنها موافقة لمذهبه فهي الحجة الجدلية.

وإن كانت غير ملزمة للطرف الأخر أو المتلقي، لكنها في المقابل تفيد ظنا راجحا مقبولا، فهي الحجة الخطابية في حين هناك نوع من الحجج يقوم على التلاعب بمشاعر المخاطب، والتأثير عليه، مما يجعله يستجيب لمضمونها وإن كان عالما بعدم صحتها ألا وهي الحجة الشعرية أما إن كانت مؤلفة من مقدمات كاذبة، أو متضمنة لما هو غير صحيح فهي "الحجة المفروضة" وهذه الأخيرة إن كانت قائمة على خطأ غير متعمد فهي"الغلطة" أما إن كانت قائمة على خطأ متعمد مقصود بغية التمويه وتضليل المخاطب فهي"المغالطة" وتسمى كذلك السوفسطائية نسبة إلى السوفسطائيين.

وفيما يلي تفصيل لهذه الحجج:

1- الحجة البرهانية:

وتسمى أيضا البرهان، وهي الحجة التي تفيد اليقين، وتتألف في القياس من مقدمات يقينية على هيئة تفيد نتيجة يقينية، واليقين فيها مساو لليقين في المقدمات، وتعتبر هذه الأخيرة أحد طرق الاستدلال المباشر أو القياس الصحيح المصوغ وفق أحد الأشكال المنتجة لليقين.

ونلاحظ وجود هذا النوع من الحجج في الحقائق الفكرية كقولنا مثلا: هذا العدد منقسم إلى قسمين متساويين، وكل عدد منقسم إلى قسمين متساويين زوج، إذا فهذا العدد زوج، ومن أمثلة الحجج البرهانية في القرآن الكريم قياس إعادة الخلق على بدئه، بالنسبة للخالق العظيم، فإذا ظهرت قدرته على البدء-وهذه القدرة مستمرة لا تنقطع ولا تتناقص- فهو على إعادة الخلق قادر، وفي هذا يقول عز وجل: { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) } يس(77-83)

إذن فمن كان قادرا على بدء الخلق، فهو على إعادته بعد موته وفنائه أقدر، ويكمن أن نصوغ هذه الحجة على طريقة القياس الإفتراضي فنقول:"بدء الخلق وإعادته متساويان بحكم البديهة وكل متساويين حالهما بالنسبة إلى القدرة متماثل تماما، فبدء الخلق وإعادته حالهما بالنسبة إلى القدرة متماثل تماما، الله قد بدأ الخلـــق بقدرته " قضية مسلم بها" وكل من قدر على بدء الخلق قادر على إعادة بدليل تماثلهما"[1].

وبهذا يمكننا القول إن الله عز وجل قادر على إعادة الخلق بالحجة والدليل القاطع الذي يقبله العقل البشري

[1] نقلا عن: حياة دحمان: تجليات الحجاج في القران الكريم سورة يوسف- انموذجا- ص110.

2- الحجة الجدلية:

هي الحجة المؤلفة من مقدمات مشهورة ، تعتقد الجماهير بمضمونها اعتقادا مقاربا لليقين، فلا يشعر الذهن لأول وهله بأن نقيضه ممكن، أو المؤلفة من مقدمات يسلم بها المخاطب أو المتلقي، ولكن هذه المقدمات لا ترقى في حقيقة أمرها إلى مرتبة اليقين التام الجازم.

والحجة الجدلية يمكن أن تقدم في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر أو غير المباشر كالتقابل والعكس، الاستقراء والتمثيل، أو في شكل منتج من أشكال القياس الصحيح، وهذا النوع من الحجج يوجد في شتى مجالات الفكر لاسيما في قضية الحق والواجب كالقانونيات والأخلاقيات إضافة إلى السياسيات والقضائيات والاجتماعيات ومجالات التربية...الخ.

" ولكن هذا إذا لم نضع في اعتبارنا تعاليم الشرائع الربانية، وما ثبت فيها بيقين، أما إذا وضعنا ذلك في اعتبارنا فإن كثير من القضايا المشهورة ترتقي ببيانات الشريعة القاطعة إلى مرتبة اليقين الجازم، فتكون لدى المؤمنين بالشريعة العارفين لما ثبت فيها بيقين –يقينيات "[1].

ومن أمثلة الحجج الجدلية في القرآن الكريم، الاستدلال على ضرورة اليوم الآخر بصفة العدل التي يتصف بها الخالق جل وعلا، ذلك أن من مقتضى العدل عدم التسوية بين المسلمين المجرمين، ولا بين المصلحين في الأرض والمفسدين فيها، كما لا يسوي بين المتّقين والفجار قال تعالى في سورة القلم: { **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(35)** } القلم: الاية(35)

[1] حياة دحمان: تجليات الحجاج في القران الكريم سورة يوسف- انموذجا- ص110.

وقال تعالى في سورة ص: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) } ص: الآية(28).

وقد جاءت هذه الآية ردا على الكفار الذين أنكروا يوم البعث والحساب، إذ أنه لو لم يكن هناك يوم للعقاب والثواب، لكان واقع هذه الحياة يستلزم التسوية بين المسلمين والمجرمين، ومثل هذه التسوية تستلزم نفي صفة العدل عن الخالق عز وجل وهذا على الله محال، فهو أعدل العادلين.

3-الحجة الخطابية:

وهي حجة تلزم الطرف المخاطب بالأخذ بها، وتعتمد على مقدمات ظنية سواء سلم بها المتلقي أم لم يسلم بها، وسواء أفادته ظنا راجحا أم لم تفده، لكنها من وجهة نظر المستدل بها تفيد ظنا راجحا.

وتوظف الحجة الخطابية في أي طريق من طرق الاستدلال المباشر أو غير مباشر، ويوجد هذا النوع من الحجج في مختلف مجالات الفكر، ومعظم شؤون الحياة وقضايا الإنسان، ويعتمد"على الحجج الخطابية المستمدة إلى مقدمات تشتمل على ظن راجح من وجهة نظر من يحتج بها، وهذا الظن لا يبلغ مبلغ اليقين، وليس مشهورا بين الناس كشهرة اليقين، ولا يشترط فيه أن يكون المخاطب مسلما بمقدماته أو غير مسلم بها"[1].

[1] نقلا عن: حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف-أ نموذجا- ص113.

وتصلح الحجة الخطابية للإقناع بوجهة نظر المستدل أو للإقناع بعدره فيما ذهب إليه من مذهب فقهي أو حكم قضائي، أو فيما انتهى إليه عن نظرية علمية، أو قرار سياسي أو إداري، أو غير ذلك من شؤون الحياة المختلفة والمتنوعة.

ومن الحجج الخطابية الواردة في القرآن الكريم قوله تعالى: { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ **(28)** } الروم(28).

2- الحجة الشعرية

وهي حجة لا يشترط فيها أن تفيد ظنا راجحا مقبولا، بل قد تعتمد على مقدمات وهمية وصور زائفة كاذبة لا تخفي على المخاطب أو المتلقي، غير أنها تكون متضمنة لما يتلاعب بمشاعر المخاطب ونفسيته، مما يجعله يتأثر بها ويستجيب لمضمونها، وإن كان عالما بعدم صحتها من الناحية الفكرية كقول ابن القيس الرقيات في مدح عبد الملك بن مروان " يتألق التاج فوق مفرقة على جبين كأنه الذهب "ومن البديهي أن لا تفيد هذا النوع من الحجج اليقين أو الظن الراجح، وإنما يعتمد عليها في تحريك مشاعر الجماهير أو المتلقين سواء كانت رغبة أو رهبة، إقبال أو إدبار، فرح أو حزن...الخ.فالمخاطب تتحرك مشاعره فتنبسط أو تنقبض، يقبل الأمر أو يدبر ، فتغمره مشاعر الفرح المبهج أو الحزن المفجع، ولو كان عارفا بطلان الحجة الشعرية.

وتعتمد صناعة الشعر على هذا النوع من الحجج، إذ يعتمد عليها الشعراء والخطباء المتشدقون الذين يتلاعبون بمشاعر جماهير المستمعين"ولكن ليس كل كلام محرك للمشاعر هو من قبيل الحجج الشعرية، فقد

تشتمل البراهين القاطعة على ما يحرك المشاعر، وقد تشتمل الحجج الجدلية والحجج الخطابية على مثل ذلك فلا تنزل باشتمالها على تحريك المشاعر إلى مستوى الحجج الشعرية، بل ترتقي إلى مستوى الجمع بين الحجة المنطقية والمثيرات النفسية، وهذا هو أبلغ الكلم"[1].

كما يعد القرآن الكريم النموذج الأكمل في تقديم الحجج المنطقية المقنعة مقترنة بما يحرك المشاعر ويأسر نفوس المخاطبين والمتلقين.

5- الحجة الباطلة القائمة على الغلط والمغالطة.

الحجة الباطلة وهي حجة إما أن تكون قائمة على خطأ غير مقصود وفي هذه الحالة تسمى"غلط" وألوان الغلط عديدة ولا حصر لها في مختلف الادعاءات والقضايا ومتى ظهر الغلط في المقدمات، رفضت الحجة وردت على صاحبها، مع إبانة وجه غلطه فيها.

أما إذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود مغطى بما يوهم أنه على حق بغرض التضليل والتمويه، فتسمى (مغالطة) والهدف منها خداع المتلقي وإبطال الحقائق وهي محرمة في الدين الإسلامي.

وصور المغالطات كثيرة ومتعددة نذكر على سبيل المثال استدلال المستدل-بهدف المغالطة- بقوله تعالى في شأن ما تشابه من الآيات: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (7)}.

[1] نقلا عن: حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف-أ نموذجا- ص114-115.

ولهذه الآية تأويلان: " أحدهما عطف(الراسخون) على لفظ الجلالة، والثاني اعتبار(واو) العطف استئنافية، والمعنى على أحد التأويلين يخالف المعنى على التأويل الآخر، ففي العطف يكون الراسخون في العلم يعلمون تأويله، وفي الإستئناف ينحصر البيان بالدلالة على أن الراسخين في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا"[1].

فيأتي المغالط ليستغل هذا الاختلاف في التأويل بحيث يقصد في المقدمة الصغرى أحد المعنيين، وفي المقدمة الكبرى المعنى الأخر بغية التمويه والمغالطة، وتغطية الحق.

فالقرآن الكريم هو خطاب الله إلى الناس، والخطاب يستهدف الإقناع أو التشكيك في الإقناع، وهذا كله لا بد له من حجة، وعندما تكون الحجة في مواجهة الحجة تكون المحاججة.

[1] نقلا عن: حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف- أنموذجا-، ص116-117.

المبحث الثالث: الحجاج في النص القرآني.

يعتبر نزول القرآن الكريم الحدث الكوني الأكبر، لذلك اهتمت به الأمة الإسلامية قاطبة، وصـــرفت معظم جهدها لفهمه ودراسته.

فللنص القرآني حضور قوي في مختلف الدراسات العربية وغير العربية بشتى ميادينـــها وتفرعاتهـــا- شرعية كانت أو لغوية- كما لم يكن حكرا على تخصص دون الآخر، لأن القرآن الكريم كان المنبـــع الـــذي تغترف منه مختلف العلوم والمعارف. ولما كان القرآن الكريم الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإنه طرح قضية أساسية بل محورية في الحياة ألا وهي عقيدة التوحيد، مقدما حججا وبـــراهين مختلفة باختلاف المتلقين والمخاطبين.

وبهذا يمكننا القول أنه قد " توافر في القرآن من المعطيات ما جعله خطابا حجاجيا، وما جعل الحجاج يصب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل: الكلمات والتراكيب والصور وهي تتكرر فيه تكرارا جعـــل منـــها خصائص أسلوبه المميز"[1].

إذن فإننا ننطلق من فكرة بديهية مفادها أن القرآن الكريم خطاب يهدف إلى الاقناع والتأثير، وهذا ما يفسره كثرة مخاطباته حتى إنها أصبحت علما من علومه. كما نشير في هذا المقام إلى أن المخاطبين في القرآن نوعان-على الأقل- نوع يذكر داخل النص القرآني، ونوع أخر واقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه.

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص40.

أما النوع الأول فينقسم بدوره إلى قسمين آخرين: قسم مذكور معين باسمه أو لقبه، أو ضمير الخطاب الذي يعينه مثل خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وخطاب الكافرين، كما في قوله تعالى : { **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(1)** } الكافرون(1)

وخطاب الذين آمنوا، وأيضا خطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، ذلك أن هؤلاء هم السامعين أو المتلقين الأولين الذين يمثلون ما يسمى-حسب اصطلاح الحجاج- بالجمهور الخاص أو الضيق.

وقسم مذكور في القرآن لكنه غير محدد، ولا معين ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: { **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ** } الأنعام(93).

وقوله في سورة النمل: { **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(14)** } النمل(14).

أما النوع الثاني فعلى الرغم من وقوعه خارج النص القرآني إلا أنه معني بخطاب الخالق عز وجل، وهو جمهور المتلقين أو السامعين على اختلاف أمكنتهم وعصورهم، أو كما يطلق عليه الحجاجيون الجمهور الكوني.

" والقرآن فضلا عن كونه خطابا موجها إلى متلق فعلي أو محتمل، فهو مسرح عليه نتحاور الذوات وتتجادل ويحاج بعضها بعضا، تكثر فيه(...) حكاية أقوال الكافرين والرد عليهم(...) كما تكثر فيه حكاية

أقوال المتخاصمين والمتخاطبين(...) وعموما تمثل مشتقات مادة (ق.و.ل) أعلى نسبة تواتر في القرآن (حوالي1730 مرة) بعد نسبة التواتر الخاصة باسم الجلالة"[1].

بالإضافة إلى أن الخطاب القرآني في كل ذلك أنواع متعددة فهو: تحبيب وتنفير، وتشريف وتكذيب، تشجيع وتحريض...الخ، لذلك كان الاحتجاج أحد وجوه الإعجاز الذي أنزله الله ليقع الأهتداء به"ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة"[2].

فالقرآن الكريم قد جاء على سنن العرب إلا أنه تفوق عليهم في النظم وقوة الحجاج" فقد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة"[3]، وهذا ما أعجزهم عن معارضته أو تهوين حجته، ومن أمثلة تلك البراهين والأدلة نذكر ما يلي:

أ- القياس المضمر: في قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66) }

ويمكن تخريجه على النحو التالي: " المقدمة الكبرى(مذكورة): { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ } الأولى.

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، ص43.

[2] أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، ت: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1411ه/1990م، ص28.

[3] بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرأن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404ه/1984م، ص30.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ } الثانية.

المقدمة الصغرى(مضمرة)

لكنهم لم يؤمنوا و لم يتقوا(الأولى)

لكنهم لم يقيموا التوراة والإنجيل(الثانية).

النتيجة لن نكفر عنهم سيئاتهم ولن ندخلهم الجنة(الأولى) لن يأكلوا من فوقهم...(الثانية)"[1].

ب- قياس الخلق:

في قوله تعالى: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) } النساء: (82)

وتخريجه على هذا النحو:

"المقدمة الكبرى(مذكورة) لوكانا القرآن من عند غير الله لوجد الناس فيه اختلافا.

المقدمة الصغرى(مضمرة) لكنهم لم يجدوا فيه اختلافا.

النتيجة(مضمرة) إذن القرآن الكريم هو من عند الله"[2].

وفي الأخير حري بنا أن نشير إلى أن ما تقدم هو مجرد لمحات خاطفة، كان الغرض منها التنبيه إلى أن النص القرآني جاء بالشريعة الأبدية الموجهة للبشرية جمعاء" لذلك وجب أن يكون القرآن-وهو حجته الكبرى- فيه من الأدلة والمناهج العقلية ما ينفع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم وتفاوت مداركهم"

---

[1] حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف- أ نموذجا- ص101.

[2] المرجع نفسه

وقد حقق ذلك كله بأسلوب أرقى من الخطابة وأسمى من المنطق، وأوضح من البيان إذ نراه يعتمد في مسالكه على الأمور المحسوسة أو البديهة التي لا يماري فيها عاقل أحيانا ويتحلل من بعض قيود المنطق المتعلقة بالأقيسة وأنماطها أحيانا أخرى، من غير الإخلال بدقة التصوير وأحكام التحقيق، إضافة إلى صدق ما اشتمل من مقدمات ونتائج.

الفصل الثاني: آليات الحجاج في سورة الكهف

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ

بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51) وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا

نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89)

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

آليات الحجاج في سورة الكهف:

يعد الحجاج القرآني الحوار الذي يراد به الإبانة والإبداع والإقناع، وذلك باستخدام الدلائل العقلية والعلمية واللغوية والفطرية...إضافة إلى السنن الكونية في الأنفس والآفاق كل ذلك إثباتا لحقيقة الإسلام والإيمان.

وقد ورد لفظ "الحجة" وما إليه من مادة نحو عشرين مرة في القرآن الكريم، أما البرهان فقد جاء في آيات ثمانية نذكر منها قوله تعالى في سورة القصص: {وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (75)}القصص 75.

وكذلك في قوله تعالى في سورة النمل: {أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)} النمل64.

وإن كان الوجود الحقيقي للغة هو وجود حواري فهذا يؤكد المنطق الذي بنيت عليه لغة القرآن ، من حيث هي لغة وحجة بالغة بحسب ما دهب إليه دارسوا الإعجاز القرآني.

فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب وإنما هي وسيلة للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني ككل.

المبحث الأول: التعريف بسورة الكهف.

المطلب1: سبب التسمية.

في البداية يجب علينا الوقوف على اسم السورة ، الذي لا بد أن يحمل الشيء الكثير، فكل كتاب دليله عنوانه ، وما وضع للسورة هذا العنوان إلا لارتباط اسم السورة بها فهو يعبر عنها بطريقة ما، وقد ورد في سورة الكهف اسمين فقط هما:

أولا: سورة الكهف:

وقد وردت هذه التسمية للسورة في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث عدة منها: عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" (صحيح مسلم).

كما وردت تسميتها عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كابن مسعود والبراء بن عازب.

عن البراء بن عازب قال: "كان رجل يقرا سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وحبل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: تلك السكينة نزلت بالقرآن"(صحيح مسلم).

ثانيا: سورة أصحاب الكهف:

وقد تم ذكر هذه التسمية في "مصحف نسخ في القرن الحادي عشر الهجري في بلاد اليمن بلفظ سورة الكهف"[1].

كما وقعت هذه التسمية في أحاديث كثيرة رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها: حديث فتنة الدجال، وهو حديث طويل:"فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة أصحاب الكهف.."أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح.

لكن تجدر الإشارة إلى أن المشهور من هذين الاسمين هو الأول(سورة الكهف)

وقيل أنها سميت بهذا الاسم "لتضمنها المعجزة الربانية في قصة أصحاب الكهف التي ذكرتها السورة بتفاصيلها وهي دليل حاسم ملموس على قدرة الله الباهرة"[2].

المطلب الثاني: سبب نزول السورة الكريمة

يرجع سبب نزول السورة الكريمة —حسب أغلب المفسرين- إلى أن المشركين لما أهمهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وازدياد المسلمين معه ، وكثر تساؤل الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته بعثوا النصر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم رأيهم في دعوته وهم يطمعون

---

[1] نقلا عن: معروف سعاد: القيم التربوية في قصص سورة الكهف-دراسة تحليلية مقاصدية- قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434ه،1435ه/2013م،2014م، ص17.

[2] نقلا عن: معروف سعاد: المرجع السابق.

أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يوجهون به تكذيبهم إياه، فإن اليهود أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عند المشركين في قريش.

فقدم النضر وعقبة إلى المدينة ،ووصف لليهود دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبرهم ببعض قوله، فقال لهما أحبار اليهود سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول.

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟ وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وسلوه عن الروح ما هي؟ .

فرجع النضر وعقبة فأخبرا قريشا بما قاله له أحبار اليهود، فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله فسألوه في هذه الثلاث، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم-أخبركم بما سألتم عنه غدا- وهو ينتظر وقت نزول الوحي عليه بحسب عادة يعلمها و لم يقل : إن شاء الله.

فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يوحى إليه وقيل خمسة عشر يوما، فأرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عليه حتى أحزن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وشق عليه، ثم جاءه جبريل عليه السلام –بسورة الكهف- وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف، وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين وأنزل فيما سألوه من أمر الروح[1] {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)} الإسراء 85.

[1] ينظر: معروف سعاد، القيم التربوية في قصص سورة الكهف-دراسة تحليلية مقاصدية-ص18، 19.

إضافة إلى ما تقدم تجدر الإشارة إلى أن سورة الكهف من السور المكية، وقد رجح الكثير من العلماء كون سورة الكهف مكية خالصة"فالسورة كلها من حيث النظم والسياق أخد بعضها بحجز بعض، فهي مكية دون استثناء"[1].

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لقي هو ومن معه في تلك الفترة العديد من الصعاب والمحن، فجاءت سورة الكهف تسلية وتثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

أما زمن نزولها فقد كان" بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والعشرون في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد"[2].

في حين حدث اختلاف بين القراء في تقسيم بعض الآيات إذ"عدت أيها في عدد قراء المدينة، ومكة مائة وخمسا، وفي عدد قراء الشام مائة وستا، وفي عدد قراء البصرة مائة وإحدى عشرة، وفي عدد قراء الكوفة مائة وعشرا"[3]. وهي السورة الثامنة عشر في ترتيب المصحف الشريف.

المبحث 2: البنية الحجاجية لسورة الكهف.

سورة الكهف سورة كريمة غلب عليها عنصر القصص، إذ تجيء في أولها قصة أصحاب الكهف، تليها قصة صاحب الجنتين، ثم ومضة أو إشارة إلى قصة سيدنا آدم وإبليس، أما في وسطها فتأتي قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح، وفي نهايتها قصة ذي القرنين.

---

[1] زكية محمد خالد: التشابك القصصي في سورة الكهف، دراسة في الموضوع والبناء، طبع على نفقة معالي أحمد حميد الطاير، 1429ه/2008م، ص54.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدراسة التونسية، تونس، د ط، 1984، ج15، ص242.

[3] المرجع نفسه.

" ويستغرق هذا القصص معظم آيات السورة، فهو وارد في إحدى وسبعين آية من عشر ومائة آية، ومعظم ما يتبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص بعض مشاهد القيامة وبعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى، على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير"[1].

وسورة الكهف كسائر السور المكية، تتناول موضوع الإيمان إذ أن المحور الموضوعي لها والذي ترتبط به موضوعاتها هو تصحيح الإيمان وتصحيح منهج النظر والفكر،إضافة إلى تصحيح القيم بميزان هذا الإيمان.

وما يميز هذه السورة عن غيرها من السور المكية أنها نزلت لتثبيت الإيمان القائم بالحجج والأدلة القطعية التي تبين عظمة الخالق عز وجل، والتي جاءت ردا على دعوى المشركين القائمة على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وآيات الذكر الحكيم بالحجج الباطلة الواهية فالسورة تفتتح بقوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)} الكهف(01-05)

وتختم بقوله تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110) الكهف(110).

نلاحظ أن كلا من البدء والختام هو إعلان لوحدانية الله عز وجل وإنكار للشرك، وإثبات للوحي إضافة[2] إلى التمييز بين الذات الإلهية وذوات الحوادث بدليل إنزال الخالق تبارك وتعالى لهذا القرآن العظيم

---

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423ه/2003م، ج4، ص2256+2257.

[2] ينظر سيد قطب: في ظلال القرآن، ص2257.

على نبيه الكريم، في كامل الدقة والاستقامة دون أدنى اعوجاج، ونلاحظ أن الله عز وجل قد جمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، لأنه قد يكون الشيء مستقيما وهو لا يخلو من إعوجاج في حقيقة الأمر.

في حين أن كتاب الله مستقيم في ظاهره وباطنه، إضافة إلى أنه نبراس الحق الذي أضاء لهم الطريق الصحيح إذ "أخرجهم به من الظلمات إلى النور، وبين لهم فيه العقائد، والحلال والحرام، وأسباب دخول الجنة والنار، وحذرهم فيه من كل ما يضرهم، وحثهم فيه على كل ما ينفعهم، فهو النعمة العظمى على الخلق، ولذا علمهم ربهم كيف يحمدونه على هذه النعمة"[1].

كما نلمس السياق ذاته (أي وحدانية الله عز وجل) في مرات كثيرة وذلك بصور شتى.

ففي قصة أصحاب الكهف يقول الفتية: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14)}الكهف(14).

ثم يتلوها في آيات لاحقة تعقيب هو بمثابة حجة وتوكيد {مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)} الكهف(26).

أما في قصة صاحب الجنتين فيقول الرجل المؤمن لصاحبه وهو يحاوره: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38)} الكهف(37-38).

[1] محمد الأمين الشنقطي: أصول البيان في إيضاع القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد، جدة، 1325ه، ج4، ص5.

وفي هذه الآية حجج قطعية ويقينية على وحدانية وقدرة الخالق عز وجل، ثم تدعم هذه الآية بتعقيب في آيات لاحقة {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)}الكهف(44).

في حين نجد تصحيح منهج الفكر والنظر يتجلى في استنكار دعاوي المشركين الذين يقولون ما ليس لهم به علم دون الإتيان على ما يقولون بدليل وبرهان مبين.

وفي هذا السياق يقول الله عز وجل في مطلع السورة: {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)}الكهف(4-5).

والأصح أن يتركوا علم الغيب لعلام الغيوب، فالإنسان مخلوق ضعيف لا يعلم إلا ما علمه الله إياه، وهو ما يظهر في قصة موسى مع العبد الصالح عندما يكشف عن سر تصرفاته التي أنكرها عليه موسى إذ يقول: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)}الكهف(82). فيوكل الأمر فيها لله تبارك وتعالى.

أما تصحيح القيم بميزان الإيمان بالله فيتمثل في رد القيم الحقيقية إلى الإيمان والعمل الصالح، وتصغير ما عداها من القيم الأرضية الدنيوية التي تبهر الانظار.

بدليل أن كل من على الأرض مصيره الفناء والزوال {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)}الكهف(7-8).

إضافة إلى أن حمى الله أوسع وأرحب، وكانت قصة أصحاب الكهف خير دليل على ذلك: إذ أوى الفتية إلى كهف خشن ضيق، ومع ذلك كان خير ملاذ لهم بفضل رحمة الله تعالى ورضوانه عليهم، وهذه

القصة تحمل في طياتها خطابا موجها للنبي صلى الله عليه وسلم، ليصبر نفسه مع أهل الإيمان، غير مبال بالحياة وزينتها، يقول الخالق تبارك وتعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)} الكهف(28-29).

كما تعتبر قصة صاحب الجنتين تصويرا حقيقيا لإعتزاز المؤمن بإيمانه في وجه المعتد بالمال والمتعزز بالجاه والسلطان {إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)}الكهف(40-41).

أما نهاية السورة فهي إعلان صريح بأن أخسر الخلق أعمالا هم الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، فلا وزن لهم ولا قيمة، وتبشير للمؤمنين الصالحين بجنات الفردوس مستقرا ومقاما لهم قال تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)}الكهف(من 103 إلى 107).

المبحث 3: نماذج من الحجاج في سورة الكهف.

جاء الإسلام –من خلال القرآن الكريم- ليكون دين الحوار الذي يطلق العنان للعقل، ويمنحه الحرية والتفكير والنقاش في كل مناحي الحياة، وذلك باستعمال الحجة والبرهان والدليل القوي الذي يقبله العقل السوي والفطرة السليمة وسنحاول من خلال هذا المبحث أن نقدم نماذج للحوار المتضمن في سورة الكهف.

أ- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح:

تعتبر قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح من القصص الرائدة في القرآن الكريم، إذ أراد الله عز وجل لسيدنا موسى من خلالها أن ينفتح على توجه جديد، يحتاجه الأنبياء فيما يواجهونه من مفاجآت وأحداث أثناء نشر رسالتهم أو مسيرتهم الدعوية.

" وقد أراد الله لموسى عليه السلام أن يواجه هذا الموضوع، وينفتح عليه من خلال تجربة حية، مع أحد عباد الله الصالحين المغمورين الذين أتاهم الله رشدا من لدنه، وعلمهم علما مما عنده، ولعل قيمة هذه التجربة أنها تتصل بقضايا تدخل في نطاق اختصاص موسى عليه السلام- النبي- أو الذي أعده الله ليكون نبيا وهي القضايا المتصلة ببعض الجوانب التشريعية التي قد يكون حكمها على الظواهر العادية شيئا مختلفا في حالة الإطلاع على الجوانب الخفية من الموضوع"[1].

.بمعنى وراء الأشياء الظاهرة التي تصادف الإنسان في حياته أمور غيبية خفية، قد تبدل الصورة وتغير النظرة وتجعل الإنسان يخرج بنتيجة مغايرة تماما لما كونه من تصورات في بداية الأمر قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا

[1] محمد حسين فضل: الحوار في القرآن، ص292.

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)}الكهف(من60إلى 82).

ما يلفت النظر في هذه عدة نقاط نوردها كالآتي:

-الأدب الرسالي:

ويتمثل في الأسلوب الوديع السلس الذي يعبر عن روح التواضع الذي يتحلى به العلماء، دون النظر إلى طبيعة المركز الاجتماعي أو الديني الذي يقف فيه العالم والمتعلم، فنحن نلمس هذا الأدب الرسالي في تلك الكلمات الهادئة المتعطشة للعلم التي خاطب بها موسى هذا العبد الصالح {هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا}.

-الروح العلمية:

اتسمت هذه القصة بالأسلوب الواقعي الذي يعبر عن الروح العلمية التي يعيشها العالم تجاه المتعلمين، بعيدا عن أية مجاملة تفرضها الأوضاع الاجتماعية، أو أي أسلوب من أساليب اللف والدوران التي تحاول خداع الآخرين.

فقد كان هذا العبد الصالح يختلف عن الآخرين في طبيعة معرفته للواقع، فهم يلتقون بالجانب الظاهر منه في حين أنه يعتبر نفسه مطلعا على الجوانب التي تختفي وراء الصور المألوفة للأشياء، لذا فالآخرون يرفضون طريقته في العمل وأسلوبه في معالجة الأمور، وبذلك تفقد الصحبة فائدتها وتتحول إلى شكل من أشكال المجادلات والمخاصمات التي لن تكون في مصلحة أحد، ولا في مصلحة الحقيقة على أي حال[1].

وعلى ضوء هذا أوضح له طبيعة سلوكه الذي يتعارض مع المألوف وأعلن له-مقدما- أنه أي موسى لا يستطيع معه صبرا، لأن الإنسان لا يملك الصبر على ما لم يحط بمعرفته علما.

[1] ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص293.

وبهذا كانت العلاقة المتبادلة بينهما علاقة صحبة ترتكز على السعي إلى المعرفة في إطار من الانضباط والواقعية.

- الانضباط في خط المسؤولية:

إن الأمور التي قام بها هذا العبد الصالح، كانت تتحدى صبر موسى بخروجها عن الخط الشرعي، كما في قصة قتل الغلام وخرق السفينة، لما في الأول من اعتداء على الحياة بدون ذنب، ولما في الثانية من اعتداء على الأموال وتعريض الآخرين للخطر دون حق، ولهذا كانت احتجاجات موسى تتلاحق وتشتد في كل حالة من هذه الحالات، حتى كانت الحالة الأخيرة التي سبقها التعهد الأخير بالصبر من قبل موسى، وإعطاء صاحبه الحرية في أن يفارقه إذا استمر في إثارة السؤال وفي نفاد الصبر.

وهكذا كان الأمر، و لم يستطع سيدنا موسى الصبر في الحالة الأخيرة وبدأ العبد الصالح ـــ بعد أن نفد تهديده بالفراق ـــ يشرح لموسى ويوضح له كل شيء والسبب الذي جعله يقوم بتلك الأعمال وكيف كانت مرتبطة بأمر الله لا برأيه الشخصي.

و خلاصة القول أن جو الحوار الذي لمسناه وعايشناه في هذه القصة يدخل في نطاق عمل الداعية إلى الله والعامل في سبيل رسالته.

- قصة صاحب الجنتين:

وتنطلق هذه القصة من فكرة مفادها أن القرآن الكريم يرفض اعتبار الثروة المالية قيمة محورية في الحياة بعيدا عن الإيمان ومسؤوليته، فيصور لنا قصة رجلين يملك أحدهما الجاه والمال والثروة، في حين لا يملك الأخر

مما يملك صاحبه شيئا، إلا أن قلبه ممتلأ بما هو أفضل وأنفع ألا وهو الإيمان بالخالق عز وجل والإحساس بقدرته وعظمته، مما جعله يدرك القيمة الحقيقية للحياة، فلم يستسلم لنعيمها أو يضعف أمام شقائها.

فهو يعلم علم اليقين أن الأرض وما عليها بيد الخالق الجبار الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون.

"وبهذا يتجسد لنا الفارق الكبير بين العقليتين والاتجاهين في فهم الحياة من خلال الحوار الذي أراده القرآن الكريم بين الرجلين، لنستوحي منه الفكرة التي تحكم الموقف في حساب القيم والمعاني الكبيرة في الإسلام"[1].

فهي الصورة الرائعة التي يجسدها لنا القرآن الكريم في أسلوبه البديع.

قال تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا

[1] محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ص348.

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا } (44) الكهف(من 32إلى 44).

نلاحظ من خلال هذه الآيات أن صاحب الجنتين قد بدأ الحوار مع صاحبه من موقع الإحساس بالقوة والفوقية بسبب ما يملك من مال وأتباع كثر، فكان خطابه محاولة لإخضاعه نفسيا من خلال مواجهته بواقع الفارق الكبير بينهما وتميزه عنه.

إضافة إلى استسلامه لحالة الرخاء والنعيم الذين يتمتع بهما، واعتقاده استمرار ذلك كله في شعور بالخلود، مما ولد له إحساسا بضخامة شخصيته ورفعة منزلته وكرامته لدى الله، ولذلك فهو مطمئن البال، أما صاحبه المؤمن الفقير فتتجسد لنا صورته الوديعة القوية في موقفه الساخر بكل ذلك، لأنه لا يعتبر الثراء قيمة كبيرة ترتفع بصاحبها في ميزان القيم، ولا يرى فيه ضمانة قوية للمستقبل، تبعث على الاطمئنان به والاستسلام له، لأن كل شيء في الدنيا معرض للزوال في أية لحظة بل الثقة بالله هي مصدر القوة في الوجود، وأساس الثقة بالمستقبل ونراه يقف —في حواره مع صاحبه- في موقع الإنسان الرسالي الذي يستنكر على الغنى المزهو بغناه كفره باليوم الأخر ونسيانه لخالقه، ويبدأ بتذكيره بنعم الله عليه وحاجته إليه في كل شيء، وبأن القوة بيد الله يهبها لمن يشاء ويسلبها ممن يشاء.

أما كثرة المال والولد لدية، التي تقابلها قلتها لدى هذا المؤمن فليست شيئا، مادام الله هو الذي يعطي فما المانع من أن يعطيه الله خيرا من جنته، وما الذي يمنح الغني الأمان بأن لا يرسل الله على هذا كله حسبانا من السماء فتصبح جنته مقفرة خاوية على عروشها[1].

وتكتمل السورة بالمشهد الأخير في القصة، حين أحيط بثمر صاحب الجنتين، وأصبح يقلب كفيه على ما أنفق عليها من ثروة ، وانتهى به المطاف عاريا من كل شيء أمام الحقيقة الكبيرة التي تملأ الكون كله، وهي أن الله وحده هو الذي يمنح ويأخذ ، يعطي ويمنع، فله الولاية الحق على كل شيء.

المبحث4: استراتيجيات الخطاب في سورة الكهف:

ورد في معجم "تحليل الخطاب" أن لمصطلح إستراتيجية الخطاب استعمالات وتحديدات مختلفة باختلاف تيارات البحث:" ففي نظر البعض الإستراتيجية هي شرط من شروط إنتاج الخطاب، وحسب وجهة نظر أخرى، فهيكل عمل اللغة يتكون من فضائين، فضاء اكرامات ينبغي الاستجابة لها، وفضاء استراتيجيات التي هي اختبارات ممكنة يتوخاها المتكلم ليقوم بإخراج عمل اللغة وبالتالي إنتاج الخطاب"[2].

أما إذا عدنا إلى ما جاء في "حفريات المعرفة" لميشال فوكو فإننا سنلاحظ مدى توافق وجهة نظره مع هذا الرأي الأخير كون التشكيلة الخطابية تبنى على أساس من الخطابات الممكنة والخطابات المختارة، "حتى

---

[1] ينظر: محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن، ص350.

[2] نقلا عن: شفيقة طوبال: إستراتيجيات الخطاب في القرآن الكريم، مقاربة تداولية في خطاب"أولى العزم من الرسل"، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، 1436ه/1437ه الموافق ل 2015م/2016ه، ص29.

نعرض للاختيارات التي أنجزت من بين سائر تلك التي كانت بإمكانها أن تتم فعليا هي الأخرى، يلزمنا وصف المراتب النوعية للقرار وفي أعلاها الدور الذي يلعبه الخطاب المدروس"[1].

يفهم من هذا الكلام أن الإنسان في عملية تواصله مع الأخر يكون في غاية الاهتمام بما سيقول، فخطابه المدروس يكشف عن سلسلة من العمليات الفكرية بمراعاة السباقات المختلفة سعيا للتعبير الأمثل عن المقاصد والتحقيق الأسمى للغايات والأغراض.

وخلاصة القول"إن الاستراتيجيات في النهاية هي محاولة التكيف مع عناصر السياق المحيط بالفعل، ولهذا فهي فعل ضروري وشامل لجميع ميادين الحياة"[2].

ومما لا شك فيه أن اختيار المخاطب لإستراتيجية معينة دون أخرى، يخضع لعدة معايير على اعتبار أن خطابه موجه إلى مخاطب معين ضمن إطار معين وظروف معينة، وهذه المعايير هي: المعيار الاجتماعي، وهو معيار العلاقات التخاطبية، والمعيار اللغوي هو معيار شكل الخطاب من حيث دلالته على قصد المرسل، سواء بالدلالة المباشرة أو بالتلميح، ومعيار هدف الخطاب، فالمعيار الاجتماعي ينظم تشكل الخطابات وفق محوري العمليات الأفقية والعمودية، مما يخضع المخاطب في التواصل مع الغير إلى ضرورة احترام ما يسمى بقواعد التخاطب[3].

كما يشير الباحث"عبد الهادي بن ظافر الشهري" إلى أن قواعد التخاطب هي التي ترجح اختيار إستراتيجية دون أخرى، وهذا وفقا للمقصد الذي يحرك العملية التواصلية، فقد يبتغي المخاطب تقريب

---

(1) نقلا عن: شفيقة طوبال: إستراتيجيات الخطاب في القرآن الكريم، مقاربة تداولية في خطاب"أولى العزم من الرسل".

(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص55.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص89.

المخاطب أو التقرب منه، وقد لا يكترث لهذه العلاقة وفي حال ما ابتغى القصد الأول يتم اختيار ما يعرف بالإستراتيجية التضامنية، أما في حال ما كان قصده مبنيا على عدم الاكتراث، فإنه يختار ما يعرف بالإستراتيجية التوجيهية من ناحية أخرى تصنف الإستراتيجية وفق معيار شكل الخطاب ويتضح أن المقصود بالشكل هو إما التصريح أو التلميح، ويتجلى ذلك عبر المستويات اللغوية من معجم وصرف وتركيب ودلالة وتنغيم.

كما تصنف الإستراتيجيات كذلك وفق معيار هدف الخطاب، وتوصف بأنها إستراتيجيات حجاجية إقناعية.

المطلب1: الإستراتيجية التضامنية:

الإستراتيجية التضامنية هي تلك التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، وتتجسد هذه الإستراتيجية في سورة الكهف من خلال قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح(الخضر) والتي سنحاول إبرازها من خلال المستويات اللغوية.

أ- المستوى الصرفي:

-لفظة "هل اتبعك"

لعل أبرز صيغة صرفية تبرز طبيعة العلاقة بين موسى والخضر هي لفظة **"هل اتبعك"** وهي استفهام"مستعمل في العرض بقرينة أنه استفهام من عمل نفس المستفهم والإتباع مجاز كقوله تعالى **"إن يتبعون إلا الظن""**[1].

[1] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص369.

نلاحظ نزوع سيدنا موسى إلى اختيار الأسلوب اللطيف المهذب، وهو خيار لا بد منه لبناء علاقة طيبة مع الطرف الأخر، كما أنه ينم عن الأدب الرسالي الذي نجده"في هذه الكلمات الهادئة المتعطشة للعلم، التي خاطب بها موسى هذا العبد الصالح"هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا""[1].

وهي هنا مستعملة في معنى الاشتراط إذ جعل الأتباع" كأنه مستعمل فوق التعليم لشدة المقارنة بينهما ،فصيغة : أفعل كذا على كذا من صيغ الالتزام والتعاقد".

وهو التزام وتعاقد في مقابل أن يعلمه ما به من الرشد أي الخير وهذه الخطة المدروسة، المبنية على دعائم التحرك الهادئ الوديع، المفعم بعواطف الاحترام والتقدير من جهة والرغبة في التعلم والتقرب من الأخر من جهة أخرى هي ما يسمى في الدراسات اللسانية التداولية بإستراتيجية التآزر والتضامن.

-لفظة:"لا تؤاخذني"

يواصل سيدنا موسى إستراتيجية اللين والأدب التي لا بد أن يسلكها أي متعلم مع معلمه، إذ يعتذر من الخضر على نسيانه لوعده"قال لا تؤاخذني بما نسيت".

"والنهي مستعمل في التعطف والتماس عدم المؤاخذة لأنه قد يؤاخذه على النسيان مؤاخذة من لا يصلح للمصاحبة لما ينشأ عن النسيان من خطر فالحزامة الاحتراز من صحبة من يطرأ عليه النسيان، ولذلك بنى كلام موسى على طلب عدم المؤاخذة بالنسيان و لم يبن على الاعتذار بالنسيان، كأنه رأى نفسه محفوفا بالمؤاخذة، فكان كلاما بديع النسج في الاعتذار"[2].

---

[1] محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن الكريم، ص294.

[2] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص376.

ومرد نسيان سيدنا موسى إلى أنه شهد أمور تحدّت صبره وأثارت استنكاره ليعود ويعتذر بعد أن تنبه لعدم التزامه بوعده، وكل ذلك يهدف للمحافظة على علاقته بمعلمه ورغبته في الاستزادة من العلم والمعرفة.

- لفظة: "فلا تصاحبني".

إن ما يجسد الإستراتيجية التضامنية التي تتأسس إجمالا على محاولة التقرب من المرسل إليه هو رد سيدنا موسى عليه السلام على العبد الصالح بقوله:"إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني".

"وهنا لم يعتذر موسى بالنسيان: إما لأنه لم يكن نسي ولكنه رجح تغير المنكر العظيم، وهو قتل النفس بدون موجب ،على واجب الوفاء بالالتزام، وإما لأنه نسي وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماحة تكرر الاعتذار به، وعلى الاحتمالين فقد عدل إلى المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه بأنه إن عاد إلى السؤال الذي يبتغيه صاحبه فقد جعل له أن لا يصاحبه بعده"[1].

إذن فقد لجأ سيدنا موسى إلى التعهد بالصبر وإعطاء صاحبه الحرية في أن يفارقه إذا استمر في إثارة السؤال، ونفاذ الصبر، وكل ذلك من أجل المحافظة على العلاقة التي تربطه بهذا العبد الصالح، واستمرار مصاحبته له في رحلته والانتفاع من علمه الذي يجهله موسى.

ب- المستوى المعجمي:

تتجلى الإستراتيجية الخطابية على المستوى المعجمي من خلال المعاني والمقاصد ،التي تؤهل لفظة دون أخـــرى لاشتغال حيز من التركيب اللغوي، بحيث لا يتسنى لغيرها من الألفاظ أن تحل محلها، "فمعنى الكلمة المركزي

[1] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص6.

هو الدرجة الأصل لتتسامى درجات المعنى باستعمال كلمات أخرى"[1].

ومنه فالغرض الأسمى لمصاحبة سيدنا موسى للعبد الصالح جعله يسعى جاهدا للمحافظة على علاقته به منتهجا إستراتيجية تضامنية دفعته إلى مجموعة من الاختيارات المعجمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

-لفظة: "صابرا".

عمد سيدنا موسى إلى انتقاء الكلمات ذات الدلالات المعبرة عن قصده، لأنه يخاطب المتلقي وفق إستراتيجية مدروسة وهي إستراتيجية قائمة على دعائم حفظ الأخوة والمحبة إذ أظهر له استعداده الكبير لتحمل ما سيلاقي من الصعاب "ستجدني إن شاء الله صابرا" وهذه الاختيارات في استعمال الألفاظ التي ساقها الخطاب القرآني على لسانه عليه السلام والتي تكشف عن المنهج الرباني في تواصل البشرية بعضها ببعض، لاسيما إذا تعلق الأمر بالعلاقة بين المعلم والمتعلم.

وقد كان انتقاء لفظة "صابرا" " أبلغ في ثبوت الصبر من نحو سأصبر، لأنه يدل على حصور صبر ظاهر لرفيقه ومتبوعه، وظاهر أن متعلق الصبر هنا هو الصبر على ما من شأنه الجزع أو الضجر من تعب في المتابعة، ومن مشاهدة ما لا يتحمله إدراكه ومن ترقب بيان الأسباب والعلل والمقاصد.

ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضي طاعة الأمر فيما يأمره به عطف عليه ما يفيد الطاعة إبلاغا في الإتمام بأكمل أحوال طالب العلم"[2].

وعليه فاختيار لفظة "صابرا" هو اختيار يخدم المعنى الصريح ويؤيده بدقة فائقة.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب، ص69.

[2] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص372، 373.

- لفظة: "لا أعصي".

قال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام"ولا أعصي لك أمرا" وجملة لا أعصي لك أمرا معطوفة على جملة "ستجدني" أو هو من عطف الفعل على الاسم المشتق عطفا على "صابرا" فيؤول بمصد أي وغير عاص، وفي هذا دليل على أن أهم ما يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم".

وقد كان هذا الرد دليل على معرفة موسى عليه السلام في المحافظة على علاقته بالعبد الصالح، رغم أنه رأى من تصرفاته ما يتحدى صبره ويخالف قناعاته وأفكاره ولا شك أن هذا الاختيار المعجمي دلالة على شدة تأدبه واحترامه لمعلمه.

ج- المستوى التركيبي:

يشير الزركشي في كتابه"البرهان في علوم القرآن" إلى أن أساليب القرآن الكريم وفنونه البليغة"علم شريف المحل، عظيم المكان؛ وهو المطلع على أسراره ،المبرز لإعجاز نظمه، مما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب"[1].

وإذا كان الاهتمام بالتركيب القرآني في الدراسات اللغوية العربية قد توج بنظرية النظم ،فإن الاهتمام بهذا التركيب في ظل الدراسات الحديثة يطمح إلى تأسيس نظريات سميائية تهدف إلى قراءة تأويلية غير مسبوقة ولا معهودة لتراث "النص الديني" في ظل تطور مدارس ومناهج تحليل الخطاب.

من هذا المنطلق نسعى إلى رصد الإستراتيجية التخاطبية من خلال التركيب القرآني في حوار موسى _عليه السلام _مع الخضر ، ومما تم رصده نذكر ما يلي:

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص382.

– قال تعالى على لسان سيدنا موسى"قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا" الرهق الغثيان بالقهر والإرهاق التكليف، والمعنى لا تؤاخذني بنسياني الوعد وغفلتي عنه ولا تكلفني عسرا عن أمري، وربما يفسر النسيان بمعنى الترك، والأول أظهر، والكلام اعتذار على أي حال[1].

أما في تفسير الطاهر بن عاشور فقد ورد ما يلي:

والمؤاخذة: مفاعلة من الأخذ، وهي هنا للمبالغة لأنها من جانب واحد كقوله تعالى: "ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم".

و"ما" مصدرية، أي لا تؤاخذني بنسياني.

والإرهاق: تعدية رهق، إذا غشي ولحق، أي لا تغشني عسرا، وهو هنا مجاز في المعاملة بالشدة.

والإرهاق: مستعار للمعاملة والمقابلة.

والعسر: الشدة وضد اليسر، والمراد ،هنا: عسر المعاملة أي عدم التسامح معه فيما فعله فهو يسأله الإغضاء والصفح والأمر الشأن.

و"من" يجوز أن تكون ابتدائية، فيكون المراد بأمره نسيانه أي لا تجعل نسياني منشئا لإرهاقي عسرا، ويجوز أن تكون بيانية فيكون المراد بأمره شأنه معه، أي لا تجعل شأني إرهاقك إياي عسرا [2].

* قال تعالى على لسان العبد الصالح:"سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا".

---

[1] ينظر: محمد حسين/ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1418ه/1996م، ج13، ص340.

[2] ينظر: الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص376+377.

فجملة"سأنبئك" مستأنفة استئنافا بيانيا، تقع جوابا لسؤال .يهجس في خاطر موسى -عليه السلام- عن أسباب الأفعال التي فعلها الخضر وسأله عنها موسى فإنه قد وعده أن يحدث له ذكر مما يفعله.

والتأويل: تفسير لشيء غير واضح، وهو مشتق من الأول وهو الرجوع، شبه تحصيل المعنى على تكلف بالرجوع إلى المكان بعد السير إليه.

وفي صلة الموصول من قوله" ما لم تستطع عليه صبرا" تعريض باللوم على الاستعجال وعدم الصبر إلى أن يأتيه إحداث الذكر حسبما وعده بقوله"فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا"[1].

إذن فقد حضر وقت الفراق بين سيدنا موسى والخضر لكنه قبل ذلك وضح له الأسباب الكامنة وراء تصرفاته التي تبدو ظاهريا بعيدة عن السلوك السوي، وهذا دليل على أن العبد الصالح-أيضا- رغم انتهاء العلاقة بينه وبين سيدنا موسى إلا أنه كان حريصا على تصحيح الصورة وتوضيحها.

* قال تعالى على لسان العبد الصالح:"ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا" أي ما لم تستطع عليه صبرا من اسطاع يسطيع بمعنى استطاع يستطيع، والتأويل في عرف القرآن هي الحقيقة التي يتضمنها الشيء، ويؤول إليها، وهو مصلحته وغايته الحقيقية، وتأويل الواقعة وهو علتها الواقعية وهكذا فقوله "ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا" الخ إشارة منه إلى أن الذي ذكره للوقائع الثلاث وأعماله فيها هو السبب الحقيقي لها لا ما حسبه موسى من العناوين المترائية من أعماله كالتسبب إلى هلاك الناس في خرق السفينة والقتل من غير سبب موجب في قتل الغلام وسوء تدبير المعاش في إقامة الجدار.

[1] ينظر: الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،ج16، ص11.

وذكر بعضهم : أن من الأدب الجميل الذي استعمله الخضر مع ربه في كلامه أن ما كان من الأعمال التي لا تخلو من نقص ما نسبه إلى نفسه كقوله: فأردت أن أعيبها، وما جاز انتسابه إلى ربه وإلى نفسه أتى فيه بصيغة المتكلم مع الغير كقوله: "فأردنا أن يبدلهما ربهما"، "فخشينا" وما يختص به تعالى لتعلقه بربوبيته وتدبير ملكه نسبه إليه كقوله تعالى "فأراد ربك أن يبلغا أشدهما"[1].

وخلاصة القول أن سيدنا موسى عليه السلام قد أتى من الخلق والأدب البارع الحري بالمتعلم، فكلامه موضوع على التواضع من أوله إلى أخره، وقد تأدب معه أولا فلم يورد طلبه منه التعليم في صورة الأمر بل في صورة الاستفهام هضما لنفسه وسمى مصاحبته إتباعا منه له، ثم عد نفسه متعلما، ثم أعظم قدر علمه إذ جعله منتسبا إلى مبدأ غير معلوم لم يعينه باسم أو نعت فقال:" علمت" و لم يقل: تعلم ثم مدحه بقوله: "رشدا" ،ثم جعل ما يتعلمه بعض علمه فقال: "مما علمت" و لم يقل: "ما علمت"، ثم رفع قدره إذ جعل ما يشير عليه به أمرا يأمره، وعد نفسه لو خالفه فيما يأمره عاصيا، ثم لم يسترسل معه بالتصريح بالوعد كنّى عنه بمثل قوله:"ستجدني إن شاء الله صابرا لا أعصي لك أمرا"[2]، وكل ذلك هو تجسيد فعلي للاستراتيجية التضامنية.

المطلب2: الإستراتيجية الإقناعية.

إن الاستراتيجية الإقناعية هي تلك الاستراتيجية التي تنبني على هدف من الخطاب ، ولا شك أن الهدف هو"إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي"[3].

---

[1] ينظر: محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج13، ص345.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص339.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص144.

وعليه ففعل الإقناع ينبني بالإضافة إلى الهدف على الإحتفاء بعناصر السياق ولاسيما العلاقات التخاطبية بين المخاطِب والمخاطَب.

ومن الواضح أيضا أن هذه الاستراتيجية قد أسقطت من خطابها المدروس نبرة الخطاب السلطوي انطلاقا من أنها إستراتيجية التوجه إلى العقل والقلب معا.

إن هذه الاستراتيجية واضحة جلية في القرآن الكريم؛ ذلك أن كتاب الله عز وجل كله حجة للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد وردت ألفاظ عديدة بدلالات مختلفة تصب كلها في مفهوم الإستراتيجية الإقناعية. ومن هذه الألفاظ أو المصطلحات: الحجاج، والجدال، الخصام، النزاع...

وتتجسد هذه الاستراتيجية من خلال عدة آليات منها:

أ- الأساليب البلاغية:

1- المذهب الكلامي: يعرف التهانوي المذهب الكلامي بأنه"علم يقتدر على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجة ودفع الشبه"[1].

وما يلاحظ أن المقصود بالمذهب الكلامي يسمى أحيانا "الاحتجاج النظري"[2]، وأحيانا أخرى "إلجام الخصم بالحجة"[3].

---

[1] نقلا عن: إيمان درنوني: الحجاج في النص القرآني-سورة الانبياء أ نموذجا- ص118.

[2] ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987، ص193.

[3] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص524.

وقد عرف ابن القيم الجوزية الاحتجاج النظري بما يلي: "هو أن يذكر المتكلم معنى يستدل عليه بضرب من العقول"[1].

أما الزركشي فعرفه بأنه:"الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه"[2] .

وهذه التعريفات قريبة بعضها من بعض، فهي تشير إلى أن المذهب الكلامي لون من الحجاج يرمي فيه المتكلم إلى اقناع خصمه بالحجة والبرهان.

وكثيرا ما يأتي المذهب الكلامي على سبيل الاستدلال بالشرط كقوله تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي } الكهف (109).

وهو مبني على ايراد الحجة على صورة قياس استثنائي أو افتراضي فكانت القضية الشرطية من أوضح ما يمثل العلاقة بين المقدمات(اللزوم) أو النتائج (اللازم أو التالي).

فالآية (109) من سورة الكهف تنبني على حرف الشرط "لو" وهو "حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"[3]، ومقتضى عبارة سيبويه أن الثاني (الجواب) كان متوقعا لكنه لم يقع لامتناع الأول (جملة الشرط) لذلك عبر عن "لو" بأنها "حرف امتناع لامتناع" أو "انتفاء لانتفاء".

---

(1) ابن القيم الجوزية، الفوائد، ص193.

(2) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص524.

(3) سبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن فنير: الكتاب، عبد السلام محمد مازون، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402ه/1982م، ج4، ص224.

فمضمون الشرط حكاية عن المشركين (التشكيك في كون القرآن كلاما إلهيا) وأيضا في قدرة الخالق عز وجل وجواب الشرط هو الحجة التي يقدمها الخالق لإبطال ما يزعمه المشركون، وإذ أدى المخاطب دوره في تحليل بنية"لو" فإنه يكون مجبرا على قبول النفيين وبالخصوص نفي (نفاذ كلمات الله عز وجل) ويكون مجبرا تبعا لذلك على تبني وجهة نظر المتكلم ، وليس أمامه حينئذ إلا أن يغير اعتقاده فيتحقق عمل الحجاج باعتباره عمل تأثير بالقول.

2- الاستعارة الحجاجية.

إن الاستعارة الحجاجية هي" استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية"[1].

قال تعالى:" {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}الكهف(06). وهي عبارة عن استعارة تمثيلية حيث "شبه حاله عليه الصلاة والسلام مع المشركين بحال من فارقته الأحباب فهم بقتل نفسه أو كاد يهلك نفسه حزنا ووجدا عليهم"[2].

وفي قوله تعالى: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ} الكهف(11). حيث شبهت الإنامة الطويلة الثقيلة بضرب الحجاب على الأذن، كما تضرب الخيمة على ساكنيها وهي استعارة تبعية.

وفي قوله تعالى: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي} الكهف(101).

---

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص108.

[2] محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الافاق العربية، القاهرة، 1423ه/2002م، ط1، ص169.

" أي كانوا ينظرون فلا يعتبرون وتعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون و لم تكن أعينهم حقيقة في غطاء وحجاب وإنما هو بطريقة التمثيل"[1].

3- الكناية:

في قوله تعالى: {يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ}الكهف(42). وهي كناية عن الحسرة والندم لأن النادم أو المتحسر عادة ما يضرب بيمينه على شماله.

4- التشبيه:

في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ}الكهف(32). وهو تشبيه تمثيلي"لأن وجه الشبه منتزع من متعدد"[2]، وكذلك يوجد تشبيه تمثيلي في قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ}الكهف(45)، أما التشبيه البليغ فنجده في قوله تعالى: {جَعَلَهُ نَارًا}الكهف(96)، أي أنه جعله كالنار في الحرارة وشدة الاحمرار والإحراق، وحذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

ثانيا: الآليات المنطقية.

1- القياس الاضماري.

---

[1] محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص170.

[2] محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي، ص169.

وهو قياس حذفت منه إحدى المقدمات لمقتضى الحال والمقام بها، فهي موجودة في ذهن المخاطب، محذوفة في كلامه، وحذفت إحدى المقدمات كثيرا في القرآن، وقد عبر الغزالي عن ذلك بقوله: "إن القرآن الكريم مبناه الحذف والإيجاز"[1].

ويتجسد هذا القياس في نفي الله عز وجل أن يكون له ولد في قوله تعالى: {وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا }الكهف(4).

2- قياس التمثيل:

وهو قياس يستعمل لتقريب الحقائق وإلباس المعاني لبوسا حسيا وتوضيح المعاني والحقائق بالمشاهد والصور يقول الألمعي:"هو إلحاق أحد الشيئين بالأخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول ويبين الجهة الجامعة بينهما"[2].

وقد وظف القرآن هذا النوع من القياس بدقة متناهية وصياغة محكمة، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا }الكهف (29).

3- الاستدلال بالقصص القرآني:

لقد اتخذ القرآن الكريم القصص وسيلة من وسائل الاقناع والتأثير وضمّن فيه أدلته وحججه على الناكرين الجاحدين، وكان ذلك كله على لسان رسله الذين يقر بفضلهم على أقوامهم.

---

[1] نقلا عن: إيمان درنوني: الحجاج في النص القرآني-سورة الأنبياء أ نموذجا- ص144.

[2] نقلا عن: إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني، ص145.

ومن أمثلة ذلك قصة أصحاب الكهف ونومهم في الكهف لسنين طويلة ثم الحوار الذي دار بينهم بعد بعثهم من جديد في قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } الكهف(19).

وكذلك الجدال الذي وقع حول عدد الفتية في قوله تعالى: { سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ } الكهف(22).

وكذلك الحوار الذي دار بين سيدنا موسى والعبد الصالح، وأيضا بين الرجلين الذي كان أحدهما غني والأخر فقيرا، وغير ذلك من الأدلة المقنعة والحجج البينة.

ثالثا: الآليات اللغوية.

أ- العوامل والروابط الحجاجية.

1- حرف العطف "و".

يستعمل "الواو" حجاجيا وذلك بترتيب للحجج ووصل بعضها ببعض بل وتقوي كل حجة منها الأخرى ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: { وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) } الكهف(47-48).

فالحجج في الآية الكريمة جاءت متسقة وغير منفصلة وكذلك حجة تقوم بتقوية الحجة الأخرى ، بفضل الرابط الحجاجي"الواو".

ح1-تسيير الجبال.

ح2-بروز الأرض } حجج

ح3- الحشر

ح4- المثول بين يدي الله عز وجل

فالرابط الحجاجي هنا قام بوصل الحجج وترتيبها لتقوية النتيجة الضمنية وهي حقيقة يوم البعث.

2- الرابط: "أم".

ونجدها في قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) } الكهف(9).

3- الرابط الحجاجي "حتى".

يقول كل من "ديكرو" و "أنسكوبير" في شأن الرابط الحجاجي: "إن الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى لذلك فإن القول المشتمل على الأداة "حتى" لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي"[1]،

[1] العزاوي: اللغة والحجاج، ص73.

ويتجلى ذلك في قوله تعالى: { فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } الكهف(71).

وفي قوله أيضا: { فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } الكهف(74).

ب- الجملة المؤكدة "إن".

والجمل المؤكدة بإن كثيرة في القرآن الكريم ومن أمثلتها في سورة الكهف نذكر ما يلي:

قال تعالى: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } الكهف(57).

النتيجة: ظلم الإنسان لنفسه وانغلاق قلبه عن فهم القرآن الكريم.

الرابط: إن

الحجة: إعراضه عن آيات الله وغفلته عما قدمت يداه.

ويمكن رسمها كالآتي:

النتيجة إن ⟵ الحجة

وأيضا في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا } الكهف(107).

النتيجة: جنات الفردوس نزلا.

الرابط: إن.

الحجة: العمل الصالح.

د- التكرار:

وهو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا أو يأتي بمعنى ثم يعيده، ويعد التكرار من محاسن الفصاحة لأنه من عادات العرب في خطاباتهم بغرض الإبانة والتوضيح.

وأسلوب التكرار في القرآن الكريم"وظف بحسب طبيعة الإنسان الميالة لحب الشهوات ولا يرد الإنسان عن ذلك إلا بتكرار المواعظ والقوارع"[1].

ويعتبر أسلوب التكرار من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، وفي هذا الصدد يقول العزاوي:" ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام"[2].

[1] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص9

[2] العزاوي: اللغة والحجاج، ص48.

والناظر في القرآن الكريم يجد التكرار يشمل عناصر عديدة، كتكرار الألفاظ، الروابط الحجاجية، المعاني..الخ، ومن أمثلة التكرار اللفظي في سورة الكهف في قوله تعالى: { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } الكهف(72)و { قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } الكهف(75).

وجاء التكرار في هاتين الآيتين لتقرير أن الإنسان لا يطيق الصبر على ما لم يحط به علما.

وأيضا تكرار كلا من لفظة"فانطلقا" والرابط الحجاجي "حتى" في كل من الآيات الآتية:

قال تعالى: { فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } الكهف(71).

قال تعالى: { فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } الكهف(74).

قال تعالى: { فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا } الكهف(77).

نلاحظ أن تكرار هذين اللفظين ساهم بشكل كبير وفعال في بناء النص وتوالده وانسجامه.

خاتمة

خاتمة

إن البحث في "الخطاب القرآني" هو بحث يحتاج بلا شك إلى الكثير من الجهد والصبر، فليس من اليسير أن يلم الباحث بخطاب ذي مصدر إلهي.

وإن كان لابد من الخوض في غمار هذا البحث، فليس ذلك إلا رغبة في قبسات نورانية تنير لنا دروب الحياة المظلمة.

وعليه فإن ما توصلنا إليه من نتائج ليس إلا نقطة من بحر نأمل أن تكون قبسة من نور تنير لنا جانبا من جوانب الخطاب الرباني للإنسانية قاطبة ومنهجه في التأثير والإقناع ،بالحجة البالغة والدليل القاطع، ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث المتواضع ما يلي:

- مصطلح الحجاج مفهوم عائم ، يمس مختلف الحقول المعرفية، إذ ارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات عدة طالما اعتبرت مرادفات له كالحوار، الجدل، البرهان، المناظرة... وكلها مفاهيم تخدم غاية واحدة ألا وهي محاولة استمالة المتلقي وإقناعه بوجهة نظر معينة.

شهد الدرس الحجاجي ازدهارا في الفترة اليونانية (السوفسطائيين، أفلاطون، أرسطو...) فاحتضن فن الجدل والمنطق والبلاغة مبدأ الحجاج في الفكر اليوناني القديم.

- ارتبط الحجاج في التراث العربي الإسلامي بالجدل وعده مرادفا له، وتجلت مبادئ الحجاج في الدرس البلاغي العربي، إذ اهتمت البلاغة العربية، باستراتجيات التأثير والإقناع.

– إن النضج الذي عرفته شتى المجالات المعرفية (منطق، لسانيات، بلاغة، علم النفس ...) جعلت من الدراسات الحجاجية تحظى بأهمية وعناية بالغين، هذا الاهتمام النابع من إعادة إحياء التراث اليوناني عند الغرب، والتراث البلاغي والكلامي عند العرب.

– رصد البحث بعض الاتجاهات التي ساهمت في وضع نظرية حديثة للحجاج عند الغرب من أمثال " بيرلمان" و " تيتكا" في البلاغة أو "الخطابة الجديدة " إذ حاول إضفاء بعد عقلي على الحجاج.

ونظرية " الحجاج في اللغة " لديكرو الذي اعتبر الحجاج قائم في جوهر اللغة نفسها بصرف النظر عن استخدامها فكل قول مهما كانت الغاية منه والدافع إليه قول حجاجي.

– انفتاح الباحثين العرب المعاصرين في المغرب العربي الكبير على النظريات والمناهج الغربية سمح لهم بمحاولة بعث الاهتمام بمبحث الحجاج من جديد، من خلال الكشف عما يحويه التراث العربي الإسلامي من ملامح النظرية الحجاجية المعاصرة.

– في الخطاب القرآني يعد الحجاج عنصرا فعالا في عملية الإقناع، وإدراك الحق وقبوله.

– تعدد أشكال الحجاج حسب طبيعة الحوار الحجاجي إضافة إلى تعدد وجهات نظر الباحثين وآرائهم في تحديد أنواعه.

ظهرت دلالة الحجاج في القرآن الكريم بمعان مختلفة كان عمادها الحوار، وأحيانا يتخذ أشكالا أخرى كالمحاججة، أو الجدل بغرض استمالة وإقناع المتلقي والتأثير فيه.

– تعدد الأساليب الحجاجية في سورة الكهف بين ما هو بلاغي (استعارة، تشبيه، كناية ..) وبين ما هو لغوي ومنطقي (كالقياس، الروابط الحجاجية ...) تلك الآليات التي أكسبت النص درجة عالية من التأثير والإقناع في المتلقي.

– اشتملت سورة الكهف على بعض القصص (قصة أهل الكهف، قصة صاحب الجنتين، قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح ...) التي كانت بمثابة وسيلة من وسائل استمالة المخاطب وإقناعه.

– اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلا للإقناع والتأثير، إذ يسوق الدليل في شكل قصة، ويستمد صورته من واقع الحياة ومجرياتها، لذا كان القصص القرآني هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليحاجّ بها الناس ويقنعهم.

– إمتاز الأسلوب القرآني بالمحاورة الهادئة والأسلوب المقنع وهذا هو جوهر الحجاج.

وختاما فإنني أضع هذا البحث بين يدي كل من خاض ميدان الدراسات الحجاجية في القرآن الكريم، وحاول توجيه الألباب إلى نسق الخطاب الإلهي، ولربما وجد في هذا العمل ما وجد من اعوجاج فقومه، أو نقص فأتمه، أو أخرجه إخراجا يرى فيه خدمة اكبر للدراسات القرآنية.

ولله الحمد الكثير على أنني أتممت هذا البحث، الذي آمل أن يكون فاتحة خير لبحوث أخرى إن شاء الله، وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا– المصادر:

القرآن الكريم

ثانيا المعاجم

1.إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403ه/1983م

2.ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، لبنان،

3.ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2، دت.

4.علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني كتاب التعريفات ، دار الإيمان الإسكندرية، مصر، د ط، 2004 أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفجر، دمشق،1399ه/1979م،ج2

5.مجد الدين محمد يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة،ط8، 1426ه/2005م

6.مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطابع المعارف، مصر، ط2، 1393ه/1972م، ج1

ثالثا: المراجع

1.[1] محمد علي التمانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: رفيق العجم وعلى دحروج، د ط، ج1

2.ابن القيم الجوزية: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987

3.أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجه البيان، تقديم وتحقيق: جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، مصر، د ط، د ت

4.أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، ت: محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1411ه/1990م

5.أبو حامد الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام، تصحيح وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1985،

6.أبو علال العسكري: كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 2006

7.إيمان درنوني، الحجاج في النص القرآني-سورة الأنبياء أ نموذجا- قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة- الجزائر، 1433ه-1434ه/2012م-2013م

8.بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرأن، ت: محمد أيو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404ه/1984م

9.حازم القرطاجني: مناهج البلغاء وسراح الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966 [1] أحمد ابن فارس: مقاييس اللغة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2،1389ه/1969م، ج1

10.حمو النفاري: التحاجج طبيعة ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المملكة المغربية، ط1، 1427هـ/2006م

11.الزاوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005

12.زكية محمد خالد: التشابك القصصي في سورة الكهف، دراسة في الموضوع والبناء، طبع على نفقة معالي أحمد حميد الطاير، 1429ه/2008م

13.سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي وبنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 1432ه/2001م

14.سبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن فنير: الكتاب، عبد السلام محمد مازون، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402ه/1982م، ج4

15.سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1423ه/2003م، ج4

16.طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1

17.فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات االحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1998

18.محمد الأمين الشنقطي: أصول البيان في إيضاع القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد، جدة، 1325ه

19.محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدراسة التونسية، تونس، د ط، 1984، ج15

20.محمد حسين سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الافاق العربية، القاهرة، 1423ه/2002م

21.محمد حسين/ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1418ه/1996م، ج13

22.محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008

23.محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، المغرب، ط1، 2005

24.محمد علي زكي صباغي: البلاغة الشعرية في كتاب البيان والتبيين للحاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1418ه/1998م

25.معروف سعاد: القيم التربوية في قصص سورة الكهف-دراسة تحليلية مقاصدية- قسم العلوم الإنسانية شعبة العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1434ه،1435ه/2013م،2014م

رابعا: المجلات

1.محمد الولي: مدخل إلى الحجاج...أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبير-ديسمبر2011

2.محمد مشبال: التصوير والحجاج: نحو فهم تاريخي لبلاغة نثر الجاحظ، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد40، المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت، أكتوبر- ديسمبر2011،

خامسا: المذكرات والرسائل

1.أمينة رفيق، بلاغة الخطاب المكتوب دراسة لتقنيات الحرف واللون والصورة في خطاب الدعاية التجارية، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014

2.حسين بوبلوطة، الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009-2010،

3.شفيقة طوبال: إستراتيجيات الخطاب في القرآن الكريم، مقاربة تداولية في خطاب"أولى العـــزم مـــن الرسل"، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجـــل، 1436ه/1437ه الموافق ل 2015م/2016ه

4.محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1396، ج3 حيـــاة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف-أ نموذجا- قسم اللغة العربية وآدابها، كليـــة الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر-باتنة- 1433ه-1434ه/2012-2013م

5.محمد عرابي: البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغـــات والفنون، جامعة السانية، وهران، 2008-2009

فهرس المحتويات

مقدمة ..... **ه**

مدخل: الحجاج؛ مفهومه وأنواعه. ..... **ي**

1- مفهوم الحجاج: 2

أ- لغة: 2

ب- اصطلاحا: 5

2- علاقة الحجاج بالحوار والجدل: 7

أنواع الحجاج: 10

1- في البلاغة العربية: 13

أ- في العصر القديم: 13

ب- في العصر الحديث. 19

2- الحجاج عند الغرب: 22

أ-في العصر القديم 22

1- الحجاج عند السفسطائيين: 23

2- الحجاج عند أفلاطون: 24

3- الحجاج عند أرسطو: 26

ب- في العصر الحديث: 28

1- الحجاج عند بيرلمان وأوليزيخت تيتكا 29

2- الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر: 31

الفصل الأول: الحجاج دراسة نظرية..... 33

المبحث الأول: ملامح النص الحجاجي. 34

المطلب الثاني: أشكال الحجاج. 37

1- طرائق الوصل: 38

1-1- الحجج شبه منطقية: 38

1-2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع: 39

1-3- الحجج المؤسسة لبنية الواقع..... 40

2- طرائق الفصل: 41

المبحث الثالث:مراتب الحجج 45

1- الحجة البرهانية: 45

2- الحجة الجدلية: 47

3-الحجة الخطابية: 48

2- الحجة الشعرية 49

5- الحجة الباطلة القائمة على الغلط والمغالطة. 50

المبحث الثالث: الحجاج في النص القرآني. 52

ب- قياس الخلق:..... 55

الفصل الثاني: آليات الحجاج في سورة الكهف **57**

سورة الكهف..... **58**

آليات الحجاج في سورة الكهف: 63

المبحث الأول: التعريف بسورة الكهف. 64

المطلب1: سبب التسمية. 64

أولا: سورة الكهف:..... 64

ثانيا: سورة أصحاب الكهف: 65

المطلب الثاني: سبب نزول السورة الكريمة 65

المبحث 2: البنية الحجاجية لسورة الكهف. 67

المبحث 3: نماذج من الحجاج في سورة الكهف..... 72

أ- قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح: 72

المبحث4: استراتيجيات الخطاب في سورة الكهف: 78

المطلب1: الإستراتيجية التضامنية: 80

المطلب2: الإستراتيجية الإقناعية..... 87

خاتمة..... **88**

قائمة المصادر والمراجع **88**